

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة مستغانم

كلية الأداب و اللغات



قسم اللغة العربية و أدابها

مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص:دراسات أدبية مقارنة

بعنوان:

مجنون ليلى بين الأدب العربي و الأدب الفارسي

من إعداد الطالبة:

- قراشي رشيدة
-

تحت إشراف الاستاذ:

- شناوي فتيحة

أعضاء لجنة المناقشة

- الأستاذة : بحوص نوال
- الأستاذة : بن عبدي أسماء

السنة الجامعية:2016-2017

إهــداء

إلى الحضن الدافئ والنبع الصافي ، والبلسم الشافي

إلى نبع الحنان والطيبة وأعذب ما تتحدث فيه الشفاه البشرية

أمي الغالية

إلى من علمني معنى الحياة وروح المسؤولية وسار معي في دروب النجاح الطويل

إلى سندي ومعيني أبي الحنون

إلى من زرع حبهم في قلبي وكانوا مصدر سروري وإرادتي إخوتي

إلى جميع من عرفتهم بصحبتي

وإلى الاساتذة المشرفين والمؤطرين

قراشي رشيدة

شكر و تقدير

الحمد لله رب العالمين معلم الأولين و الآخرين الذي علم الإنسان ما لم يعلم .

لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فان ظن أنه علم فقد جهل و نحمد الله و نشكره جزيل الشكر على ما وهب لنا من نعمة العقل لنفكر و بالعلم لنتدبر.

نتقدم بجزيل الشكر للأستاذة هشماوي فتيحة

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي بكلية الآداب و أخص بالذكر أساتذة أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم إثراء هذا العمل و مساهمتهم في إضاءة سبيل العلم

وفي الأخير نشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاح هذا البحث المتواضع

قراشي رشيدة

مقدمـة:

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على النبي صلى اله عليه و سلم

منذ أن أبدع شكسبير رائعته الخالدة "روميو و جولييت " و العالم العربي يكرر القول أن لا مثيل لهذه القصة العالمية في مختلف أنحاء الدنيا ، صحيح أن الشرقيين لم يطاعوا عليها حتى القرن التاسع عشر لكنهم عرفوا منذ زمن بعيد قصة ليلى و المجنون التي الهمت و لا تزال تلهموا العديد من الشعراء ، و الكتاب و المسرحيين و الموسيقيين في مختلف أنحاء الشرق ن و ما من شك في أن شهرة ليلى و المجنون في الشرق تفوق شهرة روميو و جولييت في الغرب

عن قصة مجنون ليلى ، على الرغم من تشكيك الباحثين و المحققين العرب في معظمهم بالوجود الواقعي لأبطالها و اعتقادهم أنها موضوعة كغيرها من القصص الخرافية ، إلا أنها أصبحت جزءا لا يتجزأ من التراث الأدبي العربي ن و يبقى ان نبحث عن جذورها و عن الدوافع التي أدت إلى وضعها ، إن كانت موضوعة فعلا كليا أو جزئيا فموضوع الوضع في الأدب العربي موضوع شائك و يحتاج إلى الكثير من التحقيق و بعض الأناة ، لأنه طال التراث برمته و لم يسلم منه حت الحديث النبوي الشريف و شعر الإسلاميين الأوائل بمجملهم

يقودنا البحث حول قصة مجنون ليلى إلى المصادر الأولى و بخاصة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الذي الكان السباق بين مؤرخي الأدب إلى ذكر مصادره و تسمية الذين رووا أخبار الشعراء الذين دون شعرهم ، و من بينهم مجنون ليلى و جاء المعشوق الروسي كراتشكوفسكي (1883-1951) بما عرف عنه من تحقيق و طول أناة في بحوثه ، فدرس ما صدر الأغاني و قارن بين الروايات ليميز الغث من الثمين فيها ، و ليرجح وجود المجنون واقعيا على الرغم من الروايات التي نسخت حوله .

اللافت بالنسبة إلى هذه القصة أن الرحالة الإيراني ناصر خسروا في أواسط القرن الحادي عشر الهجري ، ذكر أن بعض أبناء بادية الحجاز قرب الطائف قد دلوه على خرائب قلعة ، قالوا إنها كتمن مسكن ليلى حبيبة المجنون ، و يضيف ناصر خسروا أن قصة ليلى و المجنون قصة عجيبة للغاية .

و بين أيدينا الآن ، منظومة شعرية من ألاف الأبيات بالفارسية لنظام الكنجوي (وفاته بين عامي 530-614 هـ ق) و مسرحية أحمد شوقي الرائعة مجنون ليلى ، التي تجمع بين القيسين (قيس ابن الملوح و قيس ابن ذريح) في شخصية واحدة و من هنا نطرح الإشكال التالي : ما مدا تأثير الأدب العربي في الأدب الفارسي ؟ و ما هو الفرق بين القصة في الأدب العربي و القصة في الأدب الفارسي و للإجابة على الإشكالية التالية ارتئينا خطة البحث المقسمة إلى مدخل و ثلاث مباحث فأما المدخل فجاء بعنوان الغزل و أما المبحث الأول فعنونته بـ : مجنون

ليلى في الأدب العربي ضمن مجموعة من المطالب المتمثلة في المطلب الأول مجنون ليلى لأحمد شوقي أولا شخصية المجنون في المصادر العربية ثانيا المصادر الرئيسية لقصة ليلى و المجنون و المطلب الثاني المضمون الأولي لقصة المجنون أما المبحث الثاني فعنونته بليلى و المجنون لنظامي الكنجوي المطلب الأول مفهوم نظامي الكنجوي أولا تعريف نظامي الكنجوي ثانيا كتب نظامي الكنجوي المطلب الثاني عرض أحداث قصة ليلى و المجنون لنظامي الكنجوي أما المبحث الثالث فجاء بعنوان : أوجه المقارنة بين الأدبين العربي و الفارسي و ختمت بحثي : بخاتمة ضمت مجموعة من النتائج المتوصل إليها و لمعالجة هذا الموضوع اعتمدت على مجموعة من المصادر و المراجع أهمها :

-الأغاني لأبو الفرج الأصفهاني الجزء الثاني دار الكتب المصرية

-طه حسين حديث الأربعاء ، دار الكتب اللبناني، بيروت

و قد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي الذي رأيته مناسبا لهذا البحث بالإضافة إلى المنهج التاريخي الذي يفرض نفسه في هذا البحث .

و لعل من الصعوبات و العراقيل التي اعترضتني في إنجاز هذا البحث فقد تمثلت خاصة في : قلة المراجع المتخصصة في هذا الموضوع

و في الأخير أرجوا من الله السداد ، كما أتقدم بالشكر إلى أستاذتي المشرفة د/ هشماوي فتيحة التي أعانتني في إنجاز هذا البحث

مدخل

1- تعريف الغزل :

الغزل هو فن شعري يهدف إلى التشبب بالحبية ووضعها عبر إبراز محاسنها و مفاتنها .و الغزل اصطلاحا هو حديث الشاعر عن المرأة ، وإفصاح عما يجيش في صدره من مشاعر الحب نحوها ، ووصف لجمالها و مفاتنها و التعبير عن ألام فراقها و تباريح الشوق إليها ، و الجزع لصدودها و العتاب على إخلاف مواعيدها و نكث عهودها .[1]

2- أقسامه :

أ- غزل إباحي : يتسم بفتور العاطفة و سرعة تحولها و بالمجون ، و التهتك لا يلتزم أصحابه بمحبوبة واحدة ن بل ينتقلون من امرأة إلى أخرى تنقل النحلة بين الأزهار ، جل همهم اقتناص المتع السانحة وقل ما يبالون بسمعة عاشقاتهم ، بل ربما اتخذوا من قصصهم و تجاربهم الغرامية وسيلة للمفاخرة و المباهاة و يكثر في شعر هؤلاء وصف المغامرات واقتحام الجذور و مجالس اللهو و الشرب ، و من أبرز أعلام هذه المدرسة امرؤ القيس و عمر ابن أبي ربيعة و أبو نواس .[2]

ب-الغزل العذري : هو ذلك الغزل النقي الطاهر الذي ينسب إلى قبيلة بني عذرة العربية ، إحدى قبائل قذاعة التي كانت تنزل منطقة وادي القرى شمالي الحجاز ، ذلك أن فتيانها تميزوا بذلك الشعر حتى أطلق عليه أو على شعر عفيف يقتصر على شدة العواطف ، لا تدنسه أي لذات حسية في وصف المحبوبة .

بعد ذلك انتشر ذلك الشعر و لم يقتصر على بني عذرة ، بل امتد إلى قبائل نجد و الحجاز و خاصة بني عامر .

ويرجع استاذنا الدكتور شوقي ضيف انتشار الشعر العذري بين تلك القبائل البدوية إلى :

- الطبيعة البدوية الصافي التي جاء الإسلام فرفعها ولطفها ونقاها .
- بعد تلك القبائل العربية عن ترف المدن و تحللها و مجتمعاتها الماجنة اللاهية .

---

[1] الدكتور ن كمال خلايلي ، جمهرة روائع الغزل في الشعر العربي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ص 11

[2] المرجع نفسه ص 12

و مهم كان الأمر فقد ذاع وانتشر الشعر العذري و تناقلته الأفواه في أوائل عهد الدولة الأموية ، فكان تنفيسا للمسلمين عن جو النزاعات السياسية و المؤامرات و الدسائس ، أو تكفيرا عن مجتمعات الشراب و اللهو و المجون و من اشهر أعلامه : جميل بثينا ، مجنون ليلى ، و قيس ابن ذريح ، و عرة ابن حزام ..[1]

وهناك نوع آخر من الغزل و هو الغزل الصوفي ن وقد جرا فيه أربابه في عباراتهم و تشبيهاتهم و صورهم على طريقة الغزل التقليدي ، و هو غزل رمزي ظاهره حب عذري جارف و باطنه عشق روحي عارم ، مداره الحب الإلاهي ، ووصف الجمال الأسمى ، و الشوق إلى الحبوب الإلاهي و الاتصال به و الفناء في رحابه ، و شرح الأحوال التي يحس بها المتصوف في قربه و بعده من الذات العلية ، ومن ألمع رجال هذه المدرسة : ابن الفارض ، و ابن عربي ، و الشهروردي ، و الحلاج .[2]

3- تطور الغزل من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث:

أ- الغزل في العصر الجاهلي :

تربع الغزل على عرش الشعر في العصر الجاهلي ، و تكاد لا تخلوا قصيدة من الغزل حتى وإن لم يكن هو الغرض الأساسي فيها ، فلابد للشاعر أن يذكر الغزل في قصيدته

واقتصرت أغلب القصائد الغزلية على وصف الجمال الخارجي للمرأة كجمال الوجه و الجسم ، و كان الشعراء يتغنون بوصف هذا الجمال ، و يمكن تصنيف الغزل في هذا العصر إلى خطين :

أولهما الغزل الفاحش و زعيمه امرؤ القيس ، و نجد ذلك واضحا في معلقته في مغامراته الليلية مع النساء وثانيهما الحس العفيف الذي سطع نجمه لاحقا في العصر الأموي ، وكانت نواته في الجاهلية و زعمائه كثر و قد اقترنت أسمائهم بأسماء محبوباتهم أمثال عنترة و عبلة ، و عروة ابن حزام و عفراء و عموما لم كثرت حياة الترحال عند البدو

[1] مجنون ليلى ن ديوان قيس ابن الملوح ، رواية أبي بكر الوالي ، دراسة و تعليق يسري عبد الغني ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1420 هـ 1999 م ص 13-14

[2] الدكتور كمال خليلي المرجع السابق ص 14

في الجاهلية ، صار الشعراء يقفون على أطلال حبيباتهم و يبكونها ، فصارت القصيدة العربية في الجاهلية لا تخلوا من مقدمة طلالية يذكر فيها الشاعر حبيبته و يتغزل بها .[1]

ب- الغزل في صدر الإسلام و في العهد الأموي : في صدر الإسلام خفت شعر الغزل لأن العرب انشغلوا بالدعوة الإسلامية و بالفتوحات. لابد من الإشارة إلى أن الإسلام لم يحرم الحب ، لكنه أراد أن يحيل منه قوة دافعة نحو الخير كما أراد أن يحسن هذا الحب و يرفعه عن مستوى الجاهلية و أن يسوا بهذه العاطفة فلا تنطلق غي المعصية ، لقد ربط الإسلام بين الحب و العفة كما في قول النبي عليه الصلاة و السلام " فمن عشق ، فعف فكتم فمات فهو شهيد " [2]

تطور الغزل في العصر الأموي و عاد الشعراء يكثرون من النظم فيه ، و لقد ظهر في هذا العصر ثلاث أنواع من الغزل :

الغزل العذري الذي يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة يتغزل بها بأسلوب عفيف يتلاءم مع الفكر الإسلامي ، و الغزل العمري أي الفاحش مع تعدد الحبيبات ، و الغزل التقليدي الذي كان يلجأ إليه الشعراء استجابة منهم لتقاليد القصيدة العربية [3]

الغزل العذري يعبر عن العواطف المتعففة و الملتهبة في وقت واحد ، فالشاعر الذي لم يقترن بحبيبته و جد بالشعر تعويضا يطفأ به لهيب حبه و يرتفع فيه عن غرائزه ن و تمتاز عاطفة الشعراء العذريين بأنها دائمة لا تخمد و ل يصيبها الملل و لا يقف بوجهها أي ظرف كان ، فانطلقوا يفنون عواطفهم و يصفون ألامهم و أمالهم ، يمتاز الحب العذري باقتصار الشاعر على محبوبة واحدة يقترن اسمه باسمها فقيل : جميل بثينا و كثير غزة ، وجنون ليلى و قيس لبنى

---

[1] الدكتور سراج الدين محمد ، موسوعة المبدعون الغزل في الشعر العربي ، دار الراتب الجامعية بيروت لبنان سلاسل سوفنير ص.ب 5229 -19 بيروت .لبنان ص 08

[2] الدكتور سراج الدين محمد ، الغزل في الشعر العربي ، دار الراتب الجامعية بيروت لبنان سلاسل سوفنير ص.ب 5229 -19 – بيروت لبنان ص 19

[3] المرجع السابق ص 19

الغزل العمري أو الحضري :نسبة إلى عمر بن أبي ربيعة ، ولأن شعراءه عاشوا في الحضر حياة ترف ، نشأ في الحجاز و نال شعراءه نصيبهم من ترف الحياة ، فجاءت أوصافهم مادية حسية غير وجدانية ، إنه غزل واقعي يعكس نفسية المرأة و حياتها المترفة ، الشعراء الحضريون تغيب عندهم صفة الحب ، فهم محبوبون و أكثر منهم محبين ، الشاعر لا يقتصر على محبوبة واحدة و تعدد في شعره أسماء النساء ما يدل على عدم صدق العاطفة و على الميل إلى العبث و اللهو .[1]

ج- الغزل في العباسي : تطور الغزل في هذا العصر تطورا بارزا خاصة مع تعدد مظاهر اللهو و الرفاهية فاقبل الشعراء على متع الدنيا يلتمسونها في كل جوانب حياتهم .

في هذا العصر ضعف أثر الدين و الأخلاق و شاع الفسق بين العامة و الخاصة ، فتعد الغزل حدوده التقليدية و فقد الحب قيمته الحقيقة .انطلق الشعراء يتغزلون بجرأة كبيرة جعلتهم يسخرون من كل القيم و من كل الشعراء العذريين ، و كان الانهيال على الخمرة و انتشار الجواري و الغلمان و المغنين دافعا للابتعاد عن الحشمة و العفة .[2]

د-الغزل في العصر الحديث :

أصبح الغزل في العصر الحديث تعبيرا عن التجربة النفسية الكاملة ، و جاء في أسلوب رومنطيقي و رمزي كما جاء واقعيا منسجما مع التقدم الحضاري ، بعض الشعراء اعتمدوا الأسلوب العباسي القديم و البعض ابتعد ابتعادا كليا على الأسلوب القديم ، و البعض مزج بين الأسلوبين و لكن يبقى التجديد العنصر الأهم إلا أن معظم الشعراء في العصر الحديث تبنوا الغزل العفيف ، و سمو بحبهم واتخذوه رمزا للوجدانيات فربطوا الحب بالإحساس بالطبيعة كما ربطوه بأسرار الوجود .[3]

[1] المرجع السابق ص 19
[2] الدكتور سراج الدين محمد المرجع السابق ص 44
[3] المرجع نفسه ص 71

المبحث الأول

المبحث الأول : مجنون ليلى في الأدب العربي.

المطلب الأول :مجنون ليلى لأحمد شوقي.

أولا :شخصية المجنون في المصادر العربية.

يقول أبو الفرج إن اسمه قيس وقيل : مهدي والصحيح إنه قيس بن الملوح بن عدس بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، والدليل على أن اسمه قيس قول ليلى صاحبته :

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة   متى رحل قيس مستقل فراجع.[1]

وأبو الفرج الأصفهاني ينسب إلى الأصمعي قوله : " رجلان ما عرفا في الدنيا قط إلا باسم : "المجنون بني عامر وابن القربة " .

وينسب إلى ابن الكليبي قوله : " حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس له ونسبها إليه "

وكان الأصمعي يقول : لم يكن مجنونا ، ولكن كان فيه لوثة كلوثة أبي حية . وهو من أشعر الناس ، على أنهم قد نحلوه شعرا رفيعا يشبه شعره ، كقول أبي صخر الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي   أمات وأحيا والذي أمره الأمر.

وكقول أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة :

بينما نحن من بلا كث بالقا   ع سراعا والعيس تهوي هويا.[2]

وروى عن أبي عباية قوله : سألت بني عامر بطنا بطنا عن مجنون بني عامر فما وجدت أحدا يعرفه ، وعن ابن دأب (المتوفي في أوائل العصر العباسي 171هـ / 787م) قوله : قلت لرجل من بني عامر : أتعرف المجنون وتروي من شعره شيئا ؟ قال : أو قد فرغنا من

[1] - أبو الفرج الأصفهاني الأفغاني ج2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1927 ، 1135 ، ص 01

[2] - مجنون ليلى ، قيس بن الملوح ، رواية أبي بكر الولي ، دراسة وتعليق يسرى عبد الغني ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1420هـ - 1999 م ، ص : 15-16

شعر العقلاء ، حتى نروي أشعار المجانين ! أنهم لكثير ! فقلت ليس هؤلاء أعني ، إنما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق . فقال : هيهات ! بنو عامر أغلظ أكبادا من ذاك إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصعلة (الصغيرة) رؤوسها ، فأما نزار فلا [1].

- في كلام هذا الشخص العامري صورة عن التنافس بين القبائل الشمالية والجنوبية في جزيرة العرب ، حتى في مثل هذه القضايا ، هذه الرواية نفسها نقلت أيضا عن أيوب المديني المتبحر في تاريخ المغنين .

وأما عوانة المذكور من قبل فقد أضاف إلى هذين الإسمين إسما ثالثا يقول : ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا : ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرية ومجنون بني عامر [2].

وأما الجاحظ (أواسط القرن التاسع الميلادي) فيقول : ما ترك الناس شعرا مجهول القائل قيل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون ، ولا شعرا هذا سبيله قيل في لبنى إلا نسبوه إلا قيس بن ذريح .[3]

هذه مجموعة الآراء الأساسية التي ظهرت حول المجنون في المرحلة الأولى التي تشكلت فيها القصة، وهذه الآراء تنفي وجود المجنون وتشكك بصحة الشعر المنسوب إليه... لكن قبول هذه الآراء دون تحقيق أمر غير جائز كما فعل الأصفهاني نفسه الذي يقول :
" وأنا أذكر مما وقع إلي من أخباره جملا مستحسنة ، متبرئا من العهدة فيها ، فإن أكثر أشعاره المذكورة في أخبارها ، ينسبها بعض الرواة إلى غيره وينسبها من حكيت عنه إليه وإذا قدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعن ومتتبع للعيوب ، وقد أخبرني بخبره في

[1] - أبو الفرج الأصفهاني الأغاني ج2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1927 ، 1135 ، ص 02و03
[2] - المرجع نفسه ، ص : 09
[3] - المرجع نفسه ، ص : 08

شغفه بليلى مجموعة من الرواة ونسخت ما لم أسمعه من الروايات ، وجمعت ذلك في سياقة خبره ما اتسق ولم يختلف ، فإذا اختلف نسبت كل رواية إلى راويها .[1]

ونلاحظ أن الآراء التي تؤكد وجود المجنون تعادل الآراء التي تنفي وجوده ، فالأصمعي نفسه الذي ذكرنا أنه قال إن المجنون كابن القرية لم يعرف قط ، هو نفسه قال عنه : " أنه لم يكن مجنونا وإنما كانت به لوثة كابن جية النميري .[2]

ويقول في مكان آخر: " إنه ليس مجنونا ، بل كانت به لوثة أحدثها العشق فيه ، كان يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلى ، وإن اسمه قيس بن معاذ .[3]

ويورد بالتفصيل كيف أنه سأل أعرابيا من بني عامر المجنون، فأجابه أنهم كثرا وروى له الأعرابي أشعارا لثلاثة منهم ... ثم قال له حين طلب إليه المزيد، حسبك فو الله إن في واحد من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم .[4]

ويقول في مكان آخر الذي ألقى على المجنون من الشعر وأضيف إليه أكثر مما قاله هو ؟ [5]

إذ يتبين من هذه الملاحظات التي ذكرها الأصمعي أن نفي نسبة الشعر إلى المجنون لا ينفي وجوده ، وهذا مغاير لما ورد في كلامه من قبل الأمر نفسه نلاحظه في كلام ابن دأب الذي نقل عن واحد من العامربين أن بني عامر لايعرفون المجنون ، روى عن عامري آخر قوله : " أن قيس كان شديد الولع بالنساء ، وأن ليلى العامرية كانت من أجمل وأملح نساء حيها قاطبة ، وأن رفيقاتها كن يقصدنها ويجلسن إليها ويسمرن معها فترامى خبر ذلك إلى قيس فسعى إليها وضم نفسه إلى مجلسها فكان من أمره معها ما كان .[6]

[1] - المرجع السابق ، ص : 09
[2] - المرجع السابق ، ص : 02
[3] - المرجع السابق ، ص : 04
[4] - المرجع السابق ، ص : 07
[5] - المرجع السابق ، ص : 10
[6] - المرجع السابق ، ص : 44

هذه الازدواجية موجودة أيضا لدى " ابن الكلبي " ، الذي كان قد نسب قصة المجنون إلى شاب من بني أمية ، هو نفسه يقول في مكان آخر ، إن اسم المجنون قيس بن الملوح وإن أباه مات قبل أن يصاب بالجنون ، وأنه عقر على قبره ناقته وأنشد شعرا .[1]

ونجد هذه الازدواجية كذلك لدى عالم آخر هو أبو عمرو الشيباني (المتوفي في حدود العام 205-213 هـ / 820 – 828 م) ، مستندا إلى قول أخذ اليمنيين ، أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوح . وأن أحد الشاميين قال له إنه دخل أرض بني عامر وسأل عن المجنون الذي قتله الحب فخبروه أنه كان عاشقا لفتاة منهم يقال لها ليلى ، ربا معها ثم حجبت عنه ، فاشتد عليه ذلك وذهب عقله .[2]

أما المدايني (234هـ/ 849 م) الذي يعد من مصادر الطبري [3] ، فيقول : إن المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحب ليلى قيس بن معاذ من بني عامر ... وقال عنه إنه لم يكن مجنونا وإنما قيل له المجنون بقوله :

وإني لمجنون بليلى موكل ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا .

إذا ذكرت ليلى بكيت صبابة لتذكارها حتى يبل البكا الخدا .[4]

أما ابن سلامة الجمعي (231هـ / 845 م) وهو من أوائل الذين ألفوا كتابا عن " طبقات الشعراء " فيؤكد أن المجنون لم يكن مجنونا بالمعنى الحقيقي للكلمة [5]، يقول لو حلفت أن المجنون بني عامر لم يكن مجنونا لصدقت ، ولكن توله لما زوجت ليلى وأيقن اليأس منها الم تسمع إلى قوله :

أيا ويح من أمس تخلس عقله فأصبح مذهوبا به كل مذهب .

خليا من الخلان إلا مجاملا يساعدني من كان يهوى تجنبي

---

[1] - المرجع السابق ، ص : 05
[2] - المرجع السابق ، ص :04
[3] - المرجع السابق ، ص :04
[4] - كراتشوفسكي ، ليلى والمجنون نظامي ، ترجمة الدكتور أحمد نجاد ، استشارات زوار 1373 نشر (1994م) ص 43
[5] - الأغاني ، المرجع السابق ص03

إذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت عوازب قلبي من هوى متشعب[1]

المسعودي في تاريخه أورد أيضا قصة عن المجنون [2] كذلك روى أبو الفرج عن الحزامي قوله إن أحد معاصريه وهو من أحفاد " ابن نوفل بن مساحق " الذي ورد اسمه في قصة المجنون قال : " سعيت على بني عامر فرأيت المجنون وأتيت به ، وأنشدني [3].

من المناسب أيضا في هذا السياق أن نتعرف إلى موقف منافسي بني عامر في العشق الأفلاطوني ، أي عشاق بني عذرة المشهورين ، فقد روى أبو الفرج عن الزهري قوله : أتاني رجل من عذرة لحاجة ، فجرى ذكر العشق والعشاق ، فقلت له : أنتم أرق قلوبا أم بنو عامر ؟ قال : إنا لأرق الناس قلوبا ، ولكن غلبتنا بنو عامر بمجنونها .[4]

- وعلى هذا النحو نلاحظ أن مبدء هذه القصة يعود إلى العهد الأموي ، وتشكلت في المحافل القريبة من دمشق ، بعد مدة قصيرة من حياة المجنون ، ولاحظنا أن أحد الرواة نفي وجود المجنون ، لكن رأيه لا يعد حاسما في هذا الموضوع .

إن مما لا ريب فيه أن العلماء العرب السابقين لم يقدموا رأيا موحدا حول وجود المجنون ومراحل حياته ، لذلك من الممكن التعرف إلى مراحل حياته من خلال دراسة هذه الأقوال وتحليلها ، وكذلك الأشعار المنسوبة إليه ، والتعرف كذلك إلى المحيط الذي عاش فيه من خلال الإشارات المتوافرة .[5]

[1] - المرجع السابق ، ص : 37

[2] - كراتشوفسكي ، ليلى والمجنون نظامي ، ترجمة الدكتور أحمد نجاد ، استشارات زوار 1373 نشر (1994م) ص 34

[3] - أبو الفرج الأصبهاني الأغاني ج2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1927 ، 1135 ، ص :38

[4] - المسعودي ، مروج الذهب ، ج2 ، ص : 355 ، 360

[5] - الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1927 ، 1135 ، ص :34

ثانيا :المصادر الرئيسية لقصة ليلى والمجنون

إن المصادر الرئيسية للقصة هي من الدرجة الأولى كتب تاريخ الأدب ، وكتاب الآغاني " لأبي الفرج الأصفهاني "، وبدرجة من التفصيل أقل من كتاب الشعر و الشعراء "لابن قتيبة"[1]

- هنالك مجموعة أخرى من المصادر العربية إلى جانب الأغاني ، تحظى بأهمية نسبية من بينها كتاب الزهرة وذم الهوى وديوان المعاني والأمالي ، وحماسة أبي تمام ، وخزانة الأدب وطبقات الشعراء والموشي ومحاضرات الأدباء .[2]

وبفضل هذا الكتاب اشتهرت قصة المجنون ليس فقط في الأقطار العربية ، وإنما أيضا في الأقطار الفارسية اللغة ، لكن قيمة هذا الكتاب الواقعية لا تتناسب مع شهرته ... يشير الوالبي بأكثر من مرة إلى مراجعته لكتاب الأغاني ، ويبدو أنه لم يعش قبل القرن الحادي عشر ، كما يرجح السمعاني (562ه - / 1167 م) في كتاب الأنساب .[3]

عدا كتاب الوالبي ، هنالك كتابان حول حياة المجنون أحدهما ليوسف بن الحسن المبردي الحنبلي (909 هـ - 1503 م) أحد نسابي القرن الخامس عشر ، اسم هذا الكتاب " نزهة المسامر في ذكر بعض أخبار مجنون بني عامر ، وهي نسخة فريدة وناقصة ، يوجد منها نسخة خطية في مكتبة غوتا كما يقول كراتشكوفسكي .[4]

وهنالك قصة حياة أخرى فقد منها اسم المؤلف وتاريخ التأليف ، وتتضمن شرح أحوال ثلاثة من العشاق الأفلاطونيين هم جميل والقيسان أي قيس بن الملوح (المجنون) وقيس بن ذريح والعنوان المسجع للكتاب " احسن ما يميل من أخبار القيسين وجميل " يوحي بأن هذا الكتاب يعود إلى عصر الانحطاط الأدبي .[5]

[1] - طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ، طبعة 11 ، ص : 174
[2] - قيس بن الملوح ، شرح ديوان مجنون ليلى ، شرح وتحقيق د . رجاء عكاوي ، الطبعة الأولى 2015م – 1437 هـ ، ص : 06
[3] - كراتشوفسكي ، ليلى والمجنون نظامي ، ترجمة الدكتور أحمد نجاد ، استشارات زوار 1373 نشر (1994م) ص 33
[4] - المرجع نفسه ، ص 35
[5] - المرجع نفسه، ص 35

المطلب الثاني : المضمون الأولي لقصة المجنون.

لقد رسم كتاب الأغاني جيدا بعض عناصر القصة ، واستطاع أن يجمع كل ما كان متوافرا من معلومات عنها حتى عصره، أي منتصف القرن العاشر الميلادي ... هنالك روايتان حول بداية ذلك الحب، **الأولى** : كان المجنون يهوى ليلى بنت مهدي بن سعد بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتكنى أم مالك ، وهما حينئذ صبيان ، فعلق كل واحد منهما بصاحبه وهما يرعيان المواشي أهلها ، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه ، قال : ويدل على ذلك قوله :

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة ولم يبد للأتراب من ثديها حجم صغيرين ترعى البهم يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم [1]

وتقول الرواية كذلك أن المجنون وليلى كانا وهما صبيان يرعيان غنما لأهلهما عند جبل في بلادهما يقال له التوباد ، فلما ذهب عقله وتوحش كان يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به ، فإذا تذكر أيام كان يطيف هو وليلى به جزعا شديدا واستوحش ، فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام ، فإذا تاب إليه عقله رأى بلدا لا يعرفه ، فيسأل الناس الذين يلقاهم : أين التوباد من أرض بني عامر ؟ ... ويظل يبحث عنه فإذا رآه قال في ذلك :

وأجهشت للتوباد حين رأيته وكبر للرحمن حين رآني

وأذريت دمع العين لما عرفته ونادى بأعلى صوته فدعاني

فقلت له قد كان حولك جيرة وعهدي بذلك الصرم منذ زمان [2]

هذه الرواية ليست هي الرواية الوحيدة التي تحكي قصة حب ليلى والمجنون وإنما هنالك رواية أخرى وصلتنا بأشكال مختلفة ، فالأغاني يحدثنا عن أن المجنون أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة ، وعليه حلتان من حلل الملوك ، فمر بامرأة من قومه ، يقال لها كريمة وعندها جماعة نسوة يتحدثن فيهن ليلى ، فأعجبهن جماله وكماله ، فدعونه على النزول

[1] - الاصفهاني ، أبو الفرج الأغاني ، ج 2 ، ص : 11
[2] - المرجع نفسه ، ص : 52-53

والحديث ، فنزل وجعل يحدثهن ، وأمر عبدا له ، كان معه ، فعقر لهن ناقته ، وظل يحدثهن بقية يومه ، وبينما هو كذلك إذ طلع عليهم فتى ، عليه بردة من برد الأعراب ، يقال له منازل يسوق معزى له ، فلما رأينه أقبلن عليه ، وتركن المجنون ، فغضب ، وخرج من عندهن وأنشأ يقول :

أأعقر من جرا كريمة ناقتي ووصلني مفروش لوصل منازل

إذا جاء قعقعن الحلي ولم أكن إذا جئت أرضي صوت تلك الخلاخل

متى ما انتضلنا بالسهام نضلته وإن حرم رشقا عندها فهو ناضلي

قال : فلما أصبح ، لبس حلته ، وركب ناقته متعرضا لهن ، فألفى ليلى قاعدة بفناء بيتها ، وقد علق حبه بقلبها ، وهويته ، وعندها جويريات ، يتحدثن معها ، فوقف بهن و سلم، فدعونه إلى النزول ، وقلن له : هل لك في محادثة من لايشغله عنك منازل و لا غيره ؟ فقال : أي لعمري ، فنزل ، وفعل مثل ما فعله بالأمس ، فأرادت أن تعلم هل لها عنده مثل ماله عندها فجعلت تعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة ، وتحدث غيره ، وقد كان علق بقلبه ، مثل حبه إياه ، وشغفته ، واستملحها ، فبينما هي تحدثه ، إذ أقبل فتى من الحي ، فدعته ، وسارته سرارا طويلا ، ثم قالت له : انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير، وانتقع لونه وشق عليه فعلها فأنشأت تقول :

كلانا مظهر للناس بغضا وكل عند صاحبنا مكين

تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثم الهوى دفين

فلما سمع البيتين شهق شهقة شديدة ، وأغمي عليه ، فمكث على ذلك ساعة ، ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق ، وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ .[1]

إن التدقيق في هذه الرواية يفقدها قيمتها ، لإنها لا تتناسب من قريب او بعيد مع شخصية المجنون ولا مع سيرته.

[1] - أحمد حسن صبرة ، الغزل البدري في العصر الأموي ، دراسة فنية ، الصديقان للنشر والإعلان 2001 ، ص : 68،69

هنالك روايتان ايضا تعكسان الجانب الأدبي (الموضوع) من القصة :

أولهما أن قيس سئل قبل أن يجن : ما أعجب شيء أصابك في وجدك بليلى ؟ قال : طرقنا ذات ليلة أضياف ولم يكن عندنا لهم أدم ، فبعثني أبي إلى منزل ابي ليلى لأطلب منه أدما وتكمل الرواية بأن يطلب أبو ليلى من إبنته أن تملأ له إناءه من السمن فجعلت تصب السمن وهما يتحدثان حتى امتلأ الوعاء وفاض حتى غطى أرجلهما .[1] ومرة ثانية جاءهم يطلب نارا وهو متلفع ببرد له ، فأعطته جمرة في عطية (خرقة تؤخذ بها النار) ، ووقفا يتحدثان حتى احترقت العطية ، فخرق من برده خرقة أخرى ، وكلما احترقت خرق غيرها وأذكى بها النار حتى لم يبق عليه من البرد إلا ما يوري به عورته وهو لا يعقل ما يصنع .[2]

- ما يجب أن يقال هنا ، إن هذا الشعر الجميل الجيد المنسوب إلى المجنون والذي ذكرنا منه نماذج من قبل ، أجمل بكثير وأرقى من القصص التي نسخت حوله ، لذلك لا يسعنا إلا أن نقول إن القصص وضعت بناءا على الشعر وليس العكس ، فبينا تجد في هذه الأشعار كما يقول طه حسين – عن الغزل العذري عامة – صدق اللهجة وحرارة العاطفة وحدة الشعور لا تجد في الأخبار التي تروى حوله هذا الشعر إلا تكلفا وتصنعا وإسرافا في المبالغة ينتهي إلى السخف ...إن هذه الحوادث الفاترة لا يمكن أن تلهم شعرا جيدا حارا ، بل إن هذا الشعر قد صدر صدورا طبيعيا عن قوم كانوا يشعرون ويألمون ، ويصفون آلامهم ويمثلون شعورهم ، وأن هذه القصص قد أنشئت فيما بعد ، أنشأها رواة هادؤون لم يكونوا يجدون في أنفسهم ما كان يجد هؤلاء الشعراء من لوعة وأسى ، ومن ألم وحسرة على آمال يطمعون فيها ، ويطمحون إليها دون أن يظفروا منها بشيء [3]

---

[1] - أبو الفرج الأصبهاني الأغاني ج2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1927 ، 1135 ، ص :31-32

[2] - المرجع السابق ، ص : 32

[3] - طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ، طبعة 11 ، ص : 174

أما تتمة قصة المجنون فتقول إن أبا المجنون وأمه وعشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلى وناشدوه الله والرحم أن يزوجها له ولكنه رفض .[1]

وزوجها رجلا آخر من قبيلته يدعى ورد بن محمد العقيلي .[2]

وفي رواية أخرى رجلا من ثقيف كان قد رآها في موسم الحج [3]

لكن المجنون بعد أن حجبت عنه ليلى ، استمر في رؤيتها فشكاه أهلها إلى السلطان الذي أحل دمه ، ولم يمنعه ذلك من رؤية ليلى فاضطرت عشيرتها إلى الإرتحال [4].

شكك طه حسين في الرواية التي تقول إن السلطان أهدر دم قيس قائلا : " أكان الخلفاء فرغوا من أعمالهم العامة المختلفة لهؤلاء العشاق يهدرون دمهم حينا ، ثم يعصمونه حينا آخر ".[5]

أليس من الممكن أن يكون المقصود بالسلطان هنا ليس الخليفة نفسه وإنما أحد عماله، أووا إليه على المدينة ؟

المهم أن جنون قيس قد زاد بعد ارتحال عشيرة ليلى ، فنصح الحي لأبيه أن يحج به إلى مكة ويأمره أن يتعلق بأستار الكعبة فيسأل الله أن يعافيه مما به ويبغضها إليه ، فحج به أبوه ولما صاروا بمن سمع صائحا في الليل : يا ليلى ، فوقع مغشيا عليه ، ولما أفاق أنشأ يقول:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى ... فهيج أطراب الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلي طائرا كان في صدري

دعا باسم ليلى ضلل الله سعيه ... وليلى بارض عنه نازحة قفر

[1] - أبو الفرج الأصبهاني الأغاني ج2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1927 ، 1135 ، ص :31-32

[2] - المرجع نفسه ، ص : 14-21

[3] - المرجع نفسه ، ص : 47-48-51-56-57

[4] - المرجع نفسه ، ص : 26-27

[5] - طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ، طبعة 11 ، ص :184

ثم قال له أبوه : تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى ، فتعلق بأستار الكعبة وقال : اللهم زدني لليلى حبا وبها كلفا ولا تنسني ذكرها أبدا ...وقيل أنه هام بعد ذلك في البرية مع الوحش يأكل البقول مثلها ،ويشرب من مناهلها[1]

وكانت الظباء تذكره بليلى ، وروى عنه قوله إنه رأى ظبيا مرة ، ذكره بليلى ، فازداد في عينيه حسنا ، ثم إنه عارضه ذئب وهرب منه فتبعه حتى خفيا عنه ، فوجد الذئب قد صرعه وأكل بعضه ، فرماه بسهم فما اخطأ مقتله ، ويقر بطنه فاخرج ما أكل منه ثم جمع إلى بقية شلوه ودفنه وأحرق الذئب وقال في ذلك :

رأيت غزالا يرتعي وسط روضة فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا

فيا ظبي كل رغدا هنيئا ولا تخف فإنك لي جار ولا ترهب الدهر .[2]

وكان يشتري الظباء من الصيادين ويحررها من وثاقها :

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني لك اليوم من وحشية لصديق.

ويا شبه ليلى لو تلبث ساعة لعل فؤادي من جواه بفيق

تفر وقد أطلقها من وثاقها فأنت لليلى لو علمت طليق .[3]

في مرحلة التوحش هذه يلتقي بابن عبد الرحمن بن عوف [4] الذي ولاه الخليفة على الصدقات فيعجب به ويطلب إليه أن يرافقه ، وفي رواية أخرى أن المجنون هو الذي طلب إليه ذلك وفي السنة الثانية سعى نوفل بن مساحق على الصدقات بعد عبد الرحمن بن عوف وأنه رأى المجنون هائما على وجهة لا يعقل شيئا ، فسأل عنه وعرف قصته وذهب يخطب له ليلى فرفض أهلها طلبه وقالوا له : " يا ابن مساحق ، لا والله لا يدخل المجنون منازلنا أبدا أو يموت ، فقد أهدر لنا السلطان دمه ، فأقبل بهم وأدبر ، فأبوا ، فلما رأى ذلك قال للمجنون :

[1] - أبو الفرج الأصبهاني الأغاني ج2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1927 ، 1135 ، ص :21-22
[2] - المرجع نفسه ، ص : 74
[3] -المصدر السابق ، ص : 81
[4] - المرجع نفسه ، ص : 16

انصرف ، فقال لـه المجنـون : والله مـا وفيـت لـي بالعهد ، قـال لـه : انصرافك بعد أن أيسني القوم من إجابتك أصلح من سفك الدماء ، فقال المجنون :

أيا ويح من أمس تخلس عقله فأصبح مذهوبا به كل مذهب

خليا من الخلاف إلا معذرا يضاحكني من كان يهوى تجنبي [1]

ظهور هذين الشخصين في الرواية ، وكنا قد ذكرنا من قبل صحة وجودهما التاريخي – تجعلنا نطمئن إلى تاريخية الرواية وارتباطها بواقع العصر .

أما نهاية القصة فقد وردت على لسان شيخ من بني مرة [2] القبيلة المجاورة لقبيلة بني عامر – هذه الرواية من أجمل مقتطفات الروايات القديمة ، وليس عبثا أن ينقلها مؤرخ كالمسعودي .[3] وبعد ذلك رينان [4] ، وأن يقول عنها طه حسين على الرغم من عدم تصديق رواية المجنون كلها إنها جيدة : ذكر المري انه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون ، فدلوه على محلته فأتاها فإذا أبوه شيخ كبير وإخوة له رجال ... فسألهم عنه فاستعبروا جميعا ، وقال الشيخ : والله لهو كان أثر في نفسي من هؤلاء وأحبهم إلي ! وإنه هوى امرأة من قومه ، فلما فشا أمره وأمرها ، قرر أبوها أن يزوجها منه بعد ظهور الخبر فزوجها من غيره ، فذهب عقل ابني ولحقه حبل وهام في الفيافي وجدا عليها ... فسألهم المري ان يدلوه عليه فدلوه على فتى من الحي كان صديقا له فقالوا : إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره ... ذهب المري إلى الفتى وسأله أن يدله عليه ، فقال : إن كنت تريد شعره فكل شعر قاله إلى أمس عندي وأنا ذاهب إليه غدا فإن كان قال شيئا أتيتك به ، فقال له المري : بل أريد ان تدلني عليه لآتيه فقال لي : إنه إن نفر منك نفر مني ، فيذهب شعره ، فأبيت إلا ان يدلني عليه ، فقال : أطلبه في هذه الصحاري ، فإذا رأيته فإذن منه مستأنسا ... وانشده شعرا غزلا ... ويتابع المري فيقول : إنه خرج في طلبه فوجده جالسا على رمل قد خط فيه بإصبعه خطوطا ، فدنا منه

[1] - الدكتور محمد زكي العشماوي ، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ص ، ب ، 749 ، ص : 228،229
[2] -أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ج2 ، ص : 88
[3] -المسعودي ، مروج الذهب ، ج2 ، الطبعة السابعة ، ص : 355-360
[4] - كراتشوفسكي ، ليلى والمجنون نظامي ، ترجمة الدكتور أحمد كامل نجاد ، طهران ، دار زوار ، ط3 ، 1373 نشر (1994م) ص: 76

فنفر نفور الوحش من الإنس ، وتناول حجرا ، فاعرض عنه ، ولما استعان أقبل عليه وقال له ، أحسن والله قيس بن ذريح حيث قال :

ألا يا غراب البين ويحك بنني بعلمك في لبنى وأنت خبير .

فإن أنت لم تخبر بشيء علمته فلا طرت إلا والجناح كسير .

ودرت بأعداء حبيبك فيهم كما قد تراني بالحبيب أدور

فأقبل قيس وهو يبكي فقال : أحسن والله ، وأنا احسن منه قولا حيث أقول :

كأن القلب ليلة قيل يغذى بليلى العامرية أو يراح

قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

فأمسكت عنه هنيهة ، ثم أقبلت عليه فقلت : وأحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

وإني لمغن دمع عيني بالبكا حذارا لما قد كان أو هو كائن

وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفيك إلا أن من حان حائن

قال المري : فبكى – والله – حتى ظننت أن نفسه قد فاضت ، وقد رأيت دموعه قد بليت الرمل الذي بين يديه ، ثم قال : أحسن لعمر الله ، وأنا والله أشعر منه حيث أقول :

وأدنيتني حتى إذا اما سبيتني بقول يحل العصم سهل الأباطح

تناءيت عين حين لا لي حيلة وخلفت ما خلفت بين الجوانح

ثم نسخت له ظبية فوثب يعدو خلفها ، ويتابع المري روايته أنه عاد في اليوم الثاني ، يطلبه فلم يجده ، وجاءت امرأة كانت تضع له طعاما إلى الطعام فوجدته بحاله ، ولما كان اليوم الثالث جاء أهله فطلبوه طيلة اليوم فلم يجدوه إلى أن كان اليوم الرابع ، فوجدوه في واد خشن وهو ميت بين تلك الحجارة ، فاحتمله أهله ، فغسلوه وكفنوه ودفنوه وتنتهي الرواية بأنه لم

يبق فتاة من بني عامر لم تندبه وأن فتيان الحي بكوه جميعا أحر بكاء ، وحضرهم حي ليلى معزين وأبوها معهم ، فكان أشد القوم جزعا وبكاءا عليه ، ندما على ما فعله به .[1]

هذه القصة المتداولة تناقلها رواة متعددون ، وليس في روايتهم اختلاف كبير عدا المقتطفات الشعرية التي رويت على لسان المجنون أو على لسان قيس بن ذريح .

مع مرور الزمان على وضع القصة يتضح لنا سبب ورود اسم قيس بن ذريح ، وهو أحد الشعراء العذريين الثلاثة الكبار – في هذا السياق ، من هنا وضعت قصة رؤية المجنون لابن ذريح وطلبه إليه أن يوصل سلامه إلى ليلى [2]. وكذلك قصة الرجل المري الذي وصل إلى نجد في بغية له فالتقى بليلى صدفة ، فسألته عن قيس وحدثها بحديثه [3]: يجب أن نشير إلى نقطة مهمة وهي الاختلاف الفاضح بين أول الرواية المذكورة آنفا ونهايتها ، لأنه يتبين لنا من خلال شعر المجنون أن والده قد توفي قبل اختلاط عقله .[4]

في حين أن الجزء الأخير من هذه الرواية يذكر أن جميع أفراد القبيلة قد حزنوا عليه وندبوه وأن حي ليلى ، أبوها معهم قد خرجوا معزين وكان أشدهم جزعا عليه والد ليلى .[5] هذا القسم من القصة لا يحظى بتاريخ واضح .

الجدير بالاهتمام أيضا ، أنه نادرا ما تمكنت من رؤية التطابق والانسجام بين الحوادث الفرعية في الرواية وبين أشعار المجنون التي نسبت إليه فيما بعد ، والشبيهة أسلوبا بالشعر الجاهلي . كتلك الأبيات التي يتعلم فيها على منافسة منازل [6] ، والمقطوعة التي يهجوا فيها الرجل الذي خطب ليلى [7] ، أو تلك التي رثا فيها والده [8] ،هنالك حوادث وتفاصيل لا تتناسب مع العشق الأ فلاطوني الذي نبحث عنه لدى المجنون ،ومن بينها رواية

[1] - المصدر السابق ، ص : 89-90
[2] - المصدر السابق ، ص : 94
[3] - المصدر السابق ، ص : 86-87
[4] - المصدر السابق ، ص : 70-71
[5] - المصدر السابق ، ص : 90
[6] - المصدر السابق ، ص : 91-92
[7] - المصدر السابق ، ص : 91-92
[8] - المصدر السابق ، ص : 91-92

رؤية المجنون لليلى ليلا حين كان زوجها وأبوها في الحج [1] ، وكذلك الحوار الذي جرى بينه وبين زوجها [2] والذي يتناقض مع مفهوم الحب الأفلاطوني ، وبخاصة تلك الأبيات التي ذكر أن المجنون قالها لإغاظة زوج ليلى .

إن الزوائد والإضافات على قصة المجنون والتي تتناقض مع شخصيته الحقيقية المفترضة يمكن أن تفسر على النحو التالي :

إنه قد وجد بين الإعراب عدة أشخاص اشتهروا بلقب المجنون ، واختلطت قصصهم بقصة مجنون بني عامر ، فتوسعت القصة وتشعبت ، وأضيفت إليها عناصر جديدة كمرض ليلى في العراق أو خبر موت قيس بين يدي صديقيه الحميمين ، أو ذهاب المجنون إلى بابل ليتطيب وحواره مع الطيبين أو سير المجنون مع ابن عمه زياد بن مزاحم – كما ورد في الأغاني – ورفق هذا الأخير به والذي صار اسمه في كتاب الوالبي " يزيد " ، الشخص الذي طرد المجنون أولا ثم أصبح المدافع عنه ، لكنه يموت بصورة غير منتظرة ، أو الرسائل المتبادلة بين المجنون وليلى ، أو قصة لقاء المجنون بشاب قرب " بئر ميمون " : أخذها الوالبي من الأغاني وأضاف إليها أشعارا كثيرة على لسان المجنون في وصف الآبار [3] .

الواقع أن النواة الأساسية لشعر المجنون التي تعود إلى أواخر القرن السابع الميلادي ، قد أصابها التحريف والتزيد الذي أصاب غيرها من الأخبار والحكايات بسبب عبث الرواة فهذه الأخبار كانت تتناقل شفاها من غير تدوين في أول الأمر ، وذلك يجعل الدقة في الرواية أمرا بعيد المنال ، فضلا عن أن مادة الأخبار فيها شيء من الغرابة والطرافة ، وقل أن يسلم الخبر الطريف أو الغريب من فعل الخيال وتزيده ، وقد أدرك ابن قتيبة هذا الأمر ، فذكر أن الناس نحلوه (المجنون) شعرا كثيرا رقيقا يشبه شعره ، وضرب لذلك الأمثلة [4]، أما الوشاء فيدعي أن جميل سرق أشعار المجنون [5] ، إضافة إلى التشابه في الحوادث بين حياة المجنون وحياة

[1] - المصدر السابق ، ص : 13
[2] - المصدر السابق ، ص : 14-15
[3] المصدر السابق ، ص : 70
[4] - المصدر السابق ، ص : 75
[5] - الوالبي ، ديوان مجنون ليلى ، بومباي 1310 ق هـ ، ص : 49

جميل والقول إن أحد الأمراء حلل دم جميل [1] وبين أشعار المجنون وأشعار قيس بن ذريح وقد كان متعاصرين والتشابه في اسميهما واسمي ليلى ولبنى يسهل عملية نحل شعر أحدهما للآخر أو على الأقل نحل شعر قيس بن ذريح للمجنون ...فليس من الصعوبة أن يحل اسم ليلى محل اسم لبنى .

النتيجة التي يمكن أن نستخلصها من كل ما سبق بصورة افتراضية هي أن شاعرا لقب بالمجنون كان يعيش في النصف الثاني من القرن السابع ميلادي في إحدى بوادي جزيرة العرب ، وكان شعره يعبر عن الحب الأفلاطوني ، الذي كان سائدا بين الأعراب في ذلك الحين ، لقد قصر شعره على ليلى ولليلى ، وقد أبدت المحافل الأموية في الشام إهتماما بمثل هذه التوجهات والميول والقصص التي تصور العشاق المتخيلين ، وكان ذلك وراء المحاولات الأولى لضبط أشعار المجنون وتدوين أحواله .

حدث بعد ذلك نوع من العداوة الشديدة بين القبائل الشمالية والقبائل الجنوبية في الجزيرة على إثر الفتوحات ، أدت إلى أن يجعل الرواة شخصية المجنون في الضفة المقابلة لشخصيات شعراء قبيلة بني عذرة إحدى القبائل الجنوبية في النصف الأول من القرن التاسع بدأت القصص المتعلقة بحياة المجنون الناتجة عن شرح بعض القصائد المنسوبة إليه تتضخم وانضمت إليها بسرعة قصائد موضوعة أو قالها شعراء آخرون ، وفي بداية القرن العاشر اشتهرت بعض الروايات المدونة التي تحكي قصة المجنون وليلى ، ولا شك أن ذلك كان تلبية لرغبة البلاط العباسي الذي كان يميل إلى هذا النوع من الروايات ، كذلك إلى حاجة المغنين إلى هذا النوع من الشعر للغناء ، وفي منتصف القرن العاشر دون الأصفهاني في كتاب " الأغاني " أخبار المجنون وليلى وهذا ما يسر للباحثين تحديد الرواية الأولى للقصة بعد هذه الرواية المشروحة والمفصلة لقصة المجنون وليلى ، لم يظهر أي شرح للقصة باللغة العربية سوى كتاب الوالبي ، بعد ذلك جرت الإضافات على أشعار المجنون ، ووصلت هذه الإضافات أحيانا إلى حجم غير عادي .

[1] - الوالبي ، ديوان مجنون ليلى ، بومباي 1310 ق هـ ، ص : 7و8

<

المبحث الثاني

المبحث الثاني : ليلى والمجنون لنظامي الكنجوي

عالج الأدب الفارسي موضوع ليل والمجنون ، وقد طرقه أكثر من شاعر وكاتب وصار من القصص المشهورة والمتداولة في أدبهم وقد كان لشيوع هذه القصة في الأدب الفارسي ما جعل المجال مفتوحا امامها للانتقال إل الأدبين التركي والأردني . ونتناول من التفصيل هنا لأشهر عمل ادبي في الأدب الفارسي وهو نظامي الكنجوي .

اخترنا منظومة نظامي الكنجوي لشهرتها وتكاملها ولالتزامها بالأصول العربية للقصة ، وقد نظمها نظامي عام 584هـ بعد ان صدر له أمر من حاكم شروان المسمى " أخستان بن منوجهر " وقد استطاع الشاعر أن يقدم عمله للحاكم بعد أربعة أشهر من صدور الأمر له ، وقد اشتملت المنظومة على اربعة آلاف وخمسمائة بيت من الشعر[1]

المطلب الأول : مفهوم نظامي الكنجوي

أولا : تعريف الكنجوي :

الحكيم جمال الدين أبو محمد إلياس بن يوسف بن زكي بن مؤيد النظامي الكنجوي ، أحد شعراء الفرس العظام وأركان الشعر الفارسي تتفق جمهرة أصحاب التذاكر والسير على أن مولده " كنجه " ويصرح هو أيضا بذلك ، ولم يغادر بلده إلا في سفرة قصيرة إلى بلدة مجاورة بدعوة من قزل أرسلان ، ولا يعلم بالتحقيق تاريخ ميلاده والراجح من بعض أشعاره أنه ولد حوالي سنة 530هـ - 1135 م . واختلف في وفاته اختلافا كبيرا لا مجال هنا لعرضه تفصيلا ، ويمكن القول بعد استعراض الأقوال المتضاربة وكلها مبني على الحدس والاستنتاج ، أنه توفي بين أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجري ، وقد دفن في كنجه وبقي قبره بها إلى أواسط العهد القاجاري ثم تخرب وجدد بعد ضم كنجه إلى الإتحاد السوفياتي [2]

[1] ـ الدكتور محمد زكي العشماوي ، المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة مع دراسات تحليلية مقارنة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص ، ن ، طبعة 1749 ، ص 335

[2] ـ الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ، القصة في الأدب الفارسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر .بيروت ، طبعة 1981 ، ص 403

ثانيا :كتب نظامي الكنجوي

ترك النظامي غير ما بقي من ديوان شعره الذي نشره وحيد دستكردي باسم كنجينه كنجوي خمسة مثنويات قصصية تسمى " ينج ، كنج" أي الكنوز الخمسة ، واشتهرت باسم " خمسة نظامي " وهي :

1) – مخزن الأسرار: وعدد أبياته 2260 بيتا في البحر السريع ، وقد فرغ منه في حدود سنة 570هـ - 1174 م ،وجعله باسم فخر الدين بهرا مشاه داود المتوفي سنة 622 هـ - 1225م وهو أول مثتوياته .

2)- خسرو و شيرين : وعدد أبياته 65000 بيت في البحر الهزج المسدس (المقصور) وقد أتمه سنة 576 هـ - 1180 م ، وقدمه إلى الأتابك شمس الدين محمد جهان بهلوان إيلدكز 586 – 587 هـ - 1172 – 1191 م ، ثم أعاد النظر فيه بعد ذلك ، وقد ذكر في هذه المنظومة بالإضافة إلى الاسم السابق اسم طغرل بن أرسلان السلجوقي 573 – 590هـ 1167 – 1193 م.

و قزل ارسلان بن يلدكز 581- 587/ 1185-1191 م .

3)- ليلى والمجنون : نظم هذه القصة عام 584هـ - 1188 م باسم شرواشاه أبى المظفر أخستان بن منوجهرفي، أقل من أربعة شهور وعدد أبياتها 4700 بيت (في بحر الهزج المسدسي الأحزب المقبوض) .

- بهرا منامه أو هفت كنبد : أي كتاب بهرام أو الصور السبع أو القباب السبع .

نظم هذا المثنوى سنة 593 هـ - 1196 م باسم علاء الدين كرب أرسلان ملك مراغة وعدد أبياته 5146 بيتا (في البحر الخفيف السالم المجنون المقطوع) [1]

إسكندر نامه وعدد أبياته 10500 بيت (في البحر المتقارب المثمن المقصور) وهو قسمان:
- يسمى القسم الأول منه شرفنامه والثاني إقبالنامه ، وجعل الأول باسم الأتابك الأعظم نصرة

[1] - الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ، المرجع السابق ، ص 403-404

الدين أبي بكر بن محمد جهان بهلوان أحد أتابكة آذربايجان ، وقد صدر القسم الثاني منه (إقبالنامه) في بعض النسخ باسم الملك القاهر عز الدين أبي فتح مسعود بن نور الدين أرسلان صاحب الموصل (607-615 هـ / 1210 – 2218 م) ، ثم جاء في الأبيات التي تلي ذلك ، إسم نصرة الدين أبي بكر يشكين بن أخي قزل أرسلان الذي ناب عن عمه في أذربايجان سنة 587 هـ /1191 م .

ويتناول شرفنامة حياة الاسكندر من مولده إلى فتوحاته وعودته إلى الروم ، ويتحدث إقبالنامة عن علمه وحكمته ونبوته ومجالسه مع الحكماء وخاتمة حياته ونهاية أيام الحكماء الذين جالسهم ويقول دولتشاه السمرقندي إن النظامي كان من مريدى الشيخ أحثى فرج الزنجاني ، وسواء أح هذا أم لم يصبح ، فإن أشعاره تنم على مشرب صوفي ، وقد قضى معظم حياته زاهدا متعكفا بعيدا عن بلاط الملوك والأمراء .[1]

المطلب الثاني : أحداث قصة مجنون ليلى لنظامي الكنجوي

كان هناك ملك عظيم من بني عامر اشتهر بين العرب بكرمه الوفي ، واستقباله للناس يستضيفهم ويكرم وفادتهم ، وكان هذا الملك عقيما لا ولد له فسأل ربه ان يهبه غلاما يخلفه ويحمل اسمه من بعده فاستجاب له ربه ووهبه " قيسا " فاحتفى به أبوه وهيأ له من اسباب الرعاية والعناية ما جعله ينعم بطفولة سعيدة [2] .

ولما بلغ العشر صار فتنة الخلق وسحر الوجود ، وقرت به عينا والده ، فأرسله إلى المكتب ، وكان معه جمع من ابناء البيوتات ن وكان في رفقة الصبية جمع من البنات يتعلمن معهم ، من بينهن درة نقية ، تنفذ نظراتها إلى القلوب ، وكأن وجهها وسط ذوائب شعرها مصباح في ليل ، أو شعلة دون جناحي غراب اسحم ، ورآها قيس فأحبها ، وأسلم قلبه لهواها وبادلته هي كذلك بحبه حبا وتساقيا على الصبا كؤوس العشق متآلفين ، وانصرفا دون رفقتهما عن العلم إلى الحب ، وشهر عليهما العشق سيفه فانتزع قلبهما من جنبيهما ...ووقعا في معرض القيل والقال ، ولاكتهما الألسنة ... وكان لا يقر لقيس قرار ن وهو في صحبة

---

[1] - الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ، المرجع السابق ، ص 404

[2] - الدكتور محمد زكي العشماوي ن المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة ، ص 339

الغاية فاقد الصبر ... وحجبت دونه ليلى فثر قيس على فراقها درر الدمع [1] وهام في الفيافي وكان يذهب كل ليلة يقبل بابها ، خفيفا كان له مائة جناح ، ويعود بطيئا كأنه يسير على شوك

وكان يطيب له المقام بجانب حيها في جبل نجد ، ويشتغل عن كل حديث إلا حديثا يذكر بها ، وطالما حمل أنسام الصبا إليها السلام ، وكان يخاطبها قائلا : يا شمع أسرار الروح ، رفقا بفراشة روحي أن تحرق بنارك ... انت الدواء لدائي والمرهم لجرحي ... قد أصابتنا العين ففرقتنا ... وهكذا شأن الكنز الذي لا يفنى بأسراره يصبح نهبا للناس .

وربما خف المجنون غدوة في جمع من خلانه ، فمر أمام مخيم ليلى ، وتلمحه ليلى من خلف ستارة الباب فتشرق عليه كفلقة البدر ، ويتشاكيان فيطول هول الشكاة ، وليلى في ذاك المقام كالصبح يتألق محياها ، والمجنون مصباح يخفت نوره أمام أضواء ذلك المصباح وليلى صيحة الروح والمجنون امامها ثمل يمزق ثيابه وجدا ، وعلى راحتيها خمر مسكية الرائحة ، والمجنون في سكر لا بالخمر بل برائحتها ، ومما زال قانعا بالنظر حتى تنبه القدر فحرمه إياه .

وأخبر قومه اياه بمن هام بها ،ونصحوا ان يسرع بطلب تلك الدرة لتنتظم في سلك زواجه ، فخرج قومه في جمعهم وزينتهم إلى ديار ليلى ، وقام أهلها لهم بواجب الضيافة ، ثم أفصح والده عن القصد في أن يرد ذلك المحترق الكبد عين الماء ، وأن يتبرد من ذلك النبع ، وقال لوالدها : أنا من تعلم مكانة وغنى ، فاطلب ما شئت ، واشتط ما بدا لك في الصفقة ...فأجاب والد ليلى : إنك تتحدث بما لا يواتيك فيه الرأي ،وحولي من الأعداء كثر أخاف أن يشتموا بي ، وإبنك مجنون ، فاشغل نفسك بطلب شفائه قبل ان تطلب له قرينة ....وإليك عني فمالي إلى إجابة سؤالك من سبيل ، فانصرف القوم آيسين ، ينشدون إصلاح قيس بالنصح وطلب السلوى عن ليلى بسواها من النساء .[2]

وأضحى المجنون على نصائحهم مبلبل الخاطر ، يضرب هائما في الجبال ، والصحاري ، على مثال وامق في حبه لعذراء ، يتغنى بأبيات يرددها كل من سمعها ، وتثير

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، محاضرات في الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ، سنة 1428 هـ - 27م ، ص 68
[2] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 69

شفقة كل من يصغي إليها ، يلوم نفسه على ما كان منه ، إذ وقع كالصيد الأعرج في الشباك لم يستطع فرارا ، وصار مجنونا عند الناس وشيطانا في نظر أهلها ، وكان يشرحهما في بكائه : أي جرم لي غير حبك أقاسي منه هذه الأهوال ، إذ غلى بك نار الغضب علي فها هي ذي دموعي كفيلة بإطفاء تلك النار ، لا رفيق لي غير ظلي ، ولن أسائل ظلي عنك خوف أن يكون علي رقيبا، وبينما أرعاك بظهر الغيب ، تنسحبين أنت بظلك دوني . إن قدمي من العناء كلامين ، ويدي كيائين ، فهما يرسمان إسمك ، إذ هو لامان وياءان ثم يسقط إعياء في حال تثير العطف ، والعشق غير الخالد مسلاة مهينة للشباب ، أمرها غلى الزوال ، أما العشق الذي يثبت فيه قدم صاحبه فليس عبثا من الخيال ، بل باق على الأيام ، وكان المجنون الشهير بالعشق على أتم علم به ، فقد صمد لأعبائه طول حياته ، كوردة تنفح بريح العشق الطيب ، حتى إذا قضت خلفت وراءها قطرات طيبة هي ماء الورد .

واشتد الأمر بقيس ، وطلب أهله له الدواء ، واتفقوا أن يذهب به إلى الكعبة ، فأعد أبوه العدة للرحيل به في موسم الحج ، ولما انتهى إليها قال لإبنه : هذا مقام الجد فانظر علك تجد دواء لما بك ، فتعلق بأستار الكعبة واطلب لنفسك الخلاص ... فبكى المجنون ثم ضحك ، وتلوى تلوي الثعبان ثم تعلق بحلقة الكعبة وقال : بعت روحي في حلقة العشق ، فلا كانت لي أذن بدون تلك الحلقة ، يقولون لي دع عنك أمر العشق ، والعشق قوتي وبدون هذا القوت فواتي ، فلا جرى القدر لي بغير العشق !. فيا رب روني بمائه ، وأدم لعيني حلية الاكتحال به ، ويا رب زودني من عشقها ، وإذا قصر عمري العشق فزده في عمرها ، وإذا صرت كالشعرة هزالا فلا تنقص منها شعرة ، فبدون خمرها لا كانت كأس فروحي فدى لجمالها ودمي حلال لها . فلما سمع والده ذلك ايقن أن داءه بلا دواء ، وعاد به آيسا .[1]

وذات مرة تربص اهل ليلى بقيس الدوائر ، واستعدوا للقائه بسيوفهم وعلم قومه بالأمر ، ونمي الخبر إلى والده ، فخاف أن يتسلل المجنون إلى ديارها عن غير علم فيكون حنقه ، فبحثوا عنه فلم يجدوا له أثرا ، فزاد خوفهم عليه أن يكون قد انتهى به الأجل ... بينما كان المجنون معتزلا مكانا خفيا كالكنز بعيدا عن الأنظار لاهيا عن مشاغل الدنيا ، قد جعلنا

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 70

دبر أذنيه ، وزهد فيها يطعم الناس ، وظل في مكان الصيد بلا صيد ، ولم يضجر من أهوال العشق ن إذ أنه خلص به من حب الذات ومن قيود النفس ... وأخيرا اهتدى إلى مكانه ابوه فوجده راقدا على الأرض في كهف مسندا رأسه إلى حجر ، قد ثمل بخمر التجرد من الذات ، ولما تعرف على والده بكى له معتذرا عن أن يستجيب له في امر هو مقدر عليه ، ورق له والده ، وبلغ به الأسى كل مبلغ ، وأخذ في نصحه قائلا : ألك في الراحة من هذا العناء ، ومن تحمل طعنات الأعداء ، فعد إلى مخيمك لتنعم فيه بقرينة توافقك وتوافقها ، وترى فيها مرآة نفسك . فتطبك مما أنت فيه . وهذا خير لك من ان تضرب في حديد بارد وحذار ان تظل بلا رأي ، فمن لا رأي له لا قدم له كالكرم بلا عريش [1].

وفي طريق العشق عقبات ، والقوم لك بالمرصاد ، فتحرر من قيود الجنون ، وعد إلى اصدقائك الكثر ، واسلم على رغم الأعداء .

وأجاب المجنون والده في لهجة التبجيل والإعظام ... ولكن ماذا افعل ؟ وما لي في أمري من اختيار ، وأنا رهين القدر الذي تظل معه الحيل ، ولو خير القمر لم يرم عن أوج كماله ، وتلومني في البكاء ، وهو شأن المبتلين وأني لأخاف أن أضحك فاحترق بضحكتي ، كما يحترق السحاب بضحك البرق ، والعاشق لا يرهب السيف ، إذ السيف لا ينال من رأسه وإن نال منه فسعادة الآخرة .

وحمله أبوه إلى المنزل ، وما إن ظل به بضعة أيام حتى مزق ثيابه وعاد إلى حياة الفيافي ، إذ كان يحيا حياة هي الموت في جبل نجد ، يشكو ما به من الوجد ، في طرائف تناقلتها الألسن ، وأناشيد طالما رددها المجنون .[2]

وأما ليل فهي آية الجمال ، ومحراب صلوات عباده ، النامية ببستان الحسن لا ينجو من قومها صيد ، وحلقات ذوائبها طوق صيد لعنق الآساد ، كانت ترسل آهاتها خافتة وسط الليل خوف الرقيب ، كالشمع يحيا على سم الضحكات يبدو حلو البسمات وهو في الحقيقة باك ، يحترق بنار لا ضوء لها و لا دخان ، هي نار الفراق ، وكانت ليلى – مع ما هي عليه

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 74

[2] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 71-72

من فاتن الجمال – تجيد النظم فهي درة غير مثقوبة تنظم الدر ، كل بيت من شعرها مثلها بكر ، فكان شعر المجنون كالنار اتقادا ، وجوابها له كالماء لطفا و رقة ، وكان من صوت هذين البلبلين صداح تطيب به خواطر من تبلبلت أفكارهم من الحب ، واستمرا على هذه الحال ردحا من الزمن قانعين بالخيال ، وكلاهما من العشق خيال .

وذات مرة خرجت ليلى في فصل الربيع إلى حديقة قريبة ، قد حليت بورودها الحمر والصفر ، فوق زمرد العشب ، انتشرت فوقه لآلىء الندى الرطبة ، فقد كشف فيها الرمان عن حبوب في صدره من نار ، وبدا النرجس بأعين مرض مخالطها السقام ، كأنها تبحث من جوى الحب عن هدأة في منام ، وانطلقت الطيور تفرد ، وكان البلبل من بينها في هيامه بالورد كالمجنون ، وجلست ليلى الحوراء لترى الحديقة في ظلال الورود ، وقطفت كأس نرجس ، ولم يكن غرضها سوى مناجاة البلبل الثمل ، والإفضاء إليه بلوعات صدرها ، وهناك تنزهت بمنآى عن العيون في مزرعة نخل ، وجلست تحت شجرة مرو شبيهة بقامتها فكأنها فوق العشب الأخضر بين الورود ودون الشجرة جناح ببغاء ، وبينما تناجي قيسا انطلق من الطريق صوت يتغنى بشعر المجنون وعادت تشرح ما رأت لأمها .[1]

وكان قد مر بها في البستان شاب ذو مكانة في قومه ، يشار إليه بالبنان اسمه ابن سلام ، فرأى تلك الغادة كمصباح في طريق حافل بالريح ، فغفل عما يفعل الريح بمصباح وأرسل يطلب الزواج بها من والدها ، فوعده أبوها بتزويجه منها حين تبل من مرضها ،وبعد ان تتفتح زهرتها وتبرأ مما علق بها من شوك ، فآب إلى قومه على ثقة من الظفر آنفا .[2]

وبينما ظلت ليلى بين قومها مستوحشة ، كان المجنون نضو الأسى ، ضالا كحظه في السهول والجبال ، لا أنيس له غير الوحوش في الصحراء ، يهيجه الشوق في نواحي نجد وقد مر به يوما ملك تلك الناحية نوفل ، وكان قوي الجناب لطيف المحضر ، له رقة الغزال متى يدعو داعي الهوى ، وغضبة الليث في ميدان الوغى ، وكان قد خرج للصيد في جمع من جنده ، فرأى ذلك المبتلى بعيدا من المحبين ، وبين قطعان الوحوش ، فاستخبر عنه صحبه ، فقالوا له : إنه على ما ترى من جنونه بحب امرأة ، يمضي أيامه ينظم القصائد ، ويناجي

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 72
[2] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 72- 73

السحاب الذي يطلع من جانب ديارها ، يأتي إليه كثير من المسافرين ليروه ، يحملون له الطعام والشراب ، وقلما يقبل بعد جهد منهم كأسا يشربه على ذكرى الحبيبة ، وسمع نوفل قصته ، فرق له ، واقترب منه ، وتحدث إليه ، وأقسم له أن سينيله بما لديه من قوة ومال ، وهو الذي لو تعلق غرضه بعقاب الجو لأدركه ، ولو كمن مطلبه كشرارة في الصغر لاستخرجها من مكمنها ، فأطفأ المجنون ببرد وعده لهيب أحشائه ، وقر قراره في كنفه ، وخرج عنده من الحمام ، وارتدى ثيابا جميلة ، وغدا وجهه الناحل أرجوانيا واسترسل شعره الفاحم حول قمر وجهه ، واستمر مدللا لدى مضيفه بضعة أشهر ، ثم أخذ صبره ينفذ فعتب على مضيفه ، وذكره بالوعد ، وانه لا يحيا إلا على ذلك الأمل ، فرق له نوفل ، ولبس درعه وتقلد سيفه ، وخرج في مائة من رجاله شاكي السلاح ، وقصدوا ديار ليلى ، وأرسل إلى أهلها رسولا يخبرهم بمطلبه منهم ، وأنذرهم إن رفضوا ،و لم تنجح المفاوضة ، فاستيقظت الفتنة ، وشبت الحرب بين الفريقين ، وحملت السيوف من كؤوس الدم ما روت به الأرض سكرى ، وفتحت طيور السهام مناقيرها لتروي من دماء الأبطال ، وكادت تدور الدائرة على نوفل وصحبه ، لولا أنه أرسل في طلب المدد ، فجاءه جيش تهتز له قواعد جبل أبي قيس وأخيرا انجلت الحرب عن هزيمة حي ليلى [1] .

وأقبل أبوها يقدم فروض الطاعة قائلا : أيها الملك العظيم ، إني لأرض حكمك في ابنتي قتلا بجد السيف او ضربا او حرقا ، ولكني لا أعطيها المجنون ، والموت لدى الأحرار خير من العار ، ولو وضعت زمامها في يده اقترن اسمي بالفضيحة ، فإن اجبتني لما أرجوا ، وإلا عدت إلى تلك العروس فرميت برأسها إلى الكلاب ، وخلصت من أمرها وأمر الحرب و الصلح . ولأن تنهشها الكلاب خير من أن ينهش عرضها الناس .

فرق له نوفل وقال له : إنما طلبت ليلى لتعطيها عن رضى وأي امرأة قيدت عنوة فهي كالخبز القفار أو كالحلوى خلطت بالملح لا نفع فيها ، وعلى المجنون بنار الغضب وقال لنوفل : لقد قدتني ظامئا إلى الغرات ثم منعتني وروده ، ودعوتني جائعا إلى طيب مائدتك ثم

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 73-74

رددتني عنها كالذباب ثم انفلت من بين رجاله ولم يقف نوفل له على أثر ، وظل في الصحراء يشكو لنفسه همومه .[1]

وذات مرة رأى غزالة في شباك صائد يهم بذبحها ، فثار المجنون قائلا : ايها الخسيس الطبع ، حرر من الشباك تلك العاجزة المسكينة ، لتنطلق إلى أليفها أمينة ، وماذا يقول عنك ذلك الأليف حين يفتقدها ليلا ؟ سيقول :أ يهذا الذي حجبها عني ، لصيبك مثلي ألم الفراق، ولتذق مثل ما أتا فيه من عيش ، فإذا اتقيت الله في آلام المتوجعين ، فانزع أسنان طمعك من هذا الصيد ، فامتثل الصائد أمره وثاب عن صيد كل ذي روح ، وحين أطلق الغزالة من الحبال أقبل المجنون عليها إقبال الوالد على ولده ، ومسح بيده على جسمها ، و أخذ يناجيها قائلا : أيهذه النائية عن الحبيب ؟ أنت مثلي من حبيبك في هجر ...رائحتك تحمل لذكراي ريح الحبيبة ، وعيناك عيناها ، فانطلقي حرة من كل الشباك في حمى ليلى ، ثم أطلق الغزالة وأمضى ليله ساهرا ، لم يمس جنبه الأرض، قائما على قدميه يحترق كالشمع .

في الصباح تحلت السماء بثوب أصفر لاستقبال اليوم الجديد ، وابتسمت عن قرص من الذهب ، واكتسى المشرق بجمرة الورد ، وسار المجنون ذابلا كزهرة الخريف ... وجلس في ظل شجرة عالية بجانبها نبع صاف كحوض الكوثر، وحوله من العشب بساط من الاستبرق ، وجثم على فرع من فروع الشجرة غراب في لون شعر الحسان ، له عينان كأنهما مصباحان ، فأخذ المجنون يناجيه : أيها الغراب الأسحم ، لماذا أنت في لون الليل ؟ أوقد احترق قلبك عشقا فصرت كالفحمة ؟ لا تهرب مني ، فإني مثلك في لباس الحداد ، ولا رفيق لي سواك في هذا المكان المهجور [2]. وستمر بي يوما وأنا محتضر فأحمل بفضلك إلى القبر ، وبينما هو مسترسل في الحديث إذا بالغراب يبسط جناحيه ويطير ، وظل قيس في مكانه حتى أدركه الليل أسود الجلباب كالغراب .

وعلمت ليلى بما تم في أمر نوفل ، وأنه رد غير مجاب ، فأخذ منها الضيق كل مأخذ ، وجعلت ترسل خفية آهاتها من خلف حذرها ، وصارت عيونها من البكاء كالورد وكانت نرجسا ... وطارت شهرة ليلى في الآفاق ، وتطلع إليها الخاطبون يطلبون وصاله بالمال

---

[1] ـ الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 74

[2] ـ الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 74- 75

والولايات ، وهي تداوي الناس في آلامها ، وتحاذر أن يعلم أحد سرها ، فكانت مثل شمعة تبدو في مظهر ضاحك وباطنها يحترق ... وتقدم لخطبتها ابن سلام ، وبذل الوفر من المال مع ساحر الكلام ، ولم يجد والد العروس بدا من إجابته إلى طلبته ، فزفت تلك الشبيهة بالبدر التمام إلى تنين ... وحملها إلى قومه ، وهناك هم بها ليقطف من حباها ، فلطمته لطمة شديدة ، وقالت : أقسم بخالقي الذي صورني على هذا الجمال ، لن تنال مني غرضا ، وإلا أرقت دمي بسيفك ، فيئس منها ، وعلم أن قلبها مشغول بآخر ، فقنع منها بالرؤية من بعيد ، وظلت هي تتنسم أخبار قيس ، وكم انتحبت جزعا ، وتجلى عشقها كالنهار [1]

كان المجنون لا يقر له قرار في مكان ، وقد اختلط عليه أمره فلم يعد يفرق بين الشوك والورد ، وإذا بأعرابي على جمل يطلع عليه فيراه ويقول له : أيها الغافل على حساب حياتك ، المتفاني في عبادة حسناء ، خير لك أن تصرف نفسك عن الغيد إذ لا ينتظر منهن وفاء ، فانفض يدك ممن شيمته الغدر ، فقد تزوجت ليلى بآخر ، وهي طول اليوم في أحضانه ، وإذا ذهبت عنك هذه فهناك ألف غيرها ، وكم قاسى الرجال من جفاء النساء ولم يذق أحد منهن طعم الوفاء ... فوقع المجنون يائسا ، ومزق ثيابه ، وغاب عن وعيه ، فندم ذلك الشيطان الذي قص عليه هذا الخبر ، ولم يبرح مكانه حتى عاد إليه رشده ، واعتذر له ... وقال له إنما كان يمزح وإن حبيبته – على الرغم من أنها تزوجت – لا زالت مقيمة على حبه ، فهدأ المجنون قليلا ، وصار كالطائر الكسير الجناح ، وظل يناجي ليلى عاتبا ، حانقا على زوجها ، ذلك الغراب الذي اقتطف الثمرة من بستان أمله ، معاهدا إياها أنه على حبها مقيم ، وأن من كان في مثل جمالها حلال له دماء الناس .[2]

وكان والد قيس قد انفصل عنه ، حزينا حزن يعقوب على يوسف ، وظل قعيد داره ، يتزود لقبره ، وخاف أن يدركه الأجل قبل أن يرى فلذة كبده ، فاتكأ على عصاه ، وخرج مع بعض قومه ، للبحث من جديد في طلب ابنه ، وعثر عليه بعد لأي ، ولما عرفه المجنون سقط على قدميه باكيا ، ونظر إليه الأب مستعبرا ، وأخذ ينصحه قائلا : ما جدوى مقامك غرضا لسهام الهلاك ، حتى إذا قضيت افترستك السباع ، ومهما اعتزلت الناس فلن تصل

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 75
[2] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 75- 76

بهذه العزلة إلى غايتك ، فاصبر وتسل ، واخدع نفسك بباطل من الخيال حتى تشفى ... وكل حال إلى تحول فتزود من هذه الدار لتلك الدار ، فكل امرئ رهين بعمله وأجله ... وإن كنت آدميا فعش بين الناس ، وتعال ليقوى بك ضعفي ، ويهدأ روعي ، فما أنا إلا هامة اليوم أو الغد ، وقد تعود لتراني غدا فلا تجدني ، فتمرغ رأسك على تراب قبري ولو صارت أنفاسك دخانا من لوعة فراق فأي جدوى من ذلك الحين ؟ [1]

وأراد المجنون أن ينزل على نصيحة أبيه ، واطمأن قلب الأب ، إلى أنه سيسلو ولكنه عندما فكر في التوبة من العشق ، غلبه العشق على أمره ، وقال لأبيه : يا من أنا وليد فضله ، ومن نصيحته حلية أذني ومصباح روحي ... أحاول أن أحمل نفسي على نصائحك فلا أستطيع فلا تفرض علي قيود العقل بعد أن تحررت منها ، ولا تسخر مني لأني رهين العشق ، فالعالم عندي لا يساوي بدون العشق حبة ، وكل ما سوى العشق ليس له من ذاكرتي إلا النسيان ، وقد توحشت في ضلتي ، وأنا لوحش أن يعيش بين آدمين ؟ ولن تستطيع أن تصلح من أمر العاشق إذا حرمه القدر حظه من الاستقرار ، وإنما يبكيك الأحياء إذا مت ، وأما أنا فماذا ترجو مني ولست في عداد الأحياء .

وودعه والده باكيا ، وما إن مضت أيام حتى إنطلق طائر روحه من شباك جسمه ، والمرء في الدنيا قصير المقام ، كالبرق ما يبدو إلا ليختفي ، وهو في هذه الدار ميت ، وحياته الحقة في موته ، فالعاقل من أنفذ الدنيا مجازا للآخرة ... وعلم المجنون – بعد قليل – بموت والده ، فخف إلى قبره باكيا مستغفرا ... وبعد أن قام بواجب الحداد على أبيه ، انصرف لمأواه في الفيافي ، آنسا بالوحوش ، يأكل مثلهم من نبات الصحراء ، ولا يقرب صيدا ، ولا ينصب حبالا ، وجعل له من الوحوش جيشا فقد كانت له طائعة ، وهو فيها مثل سليمان ، وبلغ من سلطانه عليها أن انتزع منها طبائعها ، فلم تعد النعجة ترهب صولة الذئب ، ولا الأسد ينشب مخالبه في حمر الوحش وعاش الظبي في سلام مع الحمل ... فإذا سار قيس تبعته الوحوش على صفين [2] على يمين ويسار ، وقد أنس بالوحوش وفر وحشة من الإنسان ، وكان المسافرون يغدون إليه متعجبين من حاله ، يحملون إليه من الطعام ما لذ

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 76- 77

[2] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 77

وطاب ، فكان ينال منه القليل ، ويطعم الباقي الوحوش من حوله فتأتي الوحوش إليه تطلب رزقها ، وإذا أكرمت الخلق ، فقد رددتهم رهن قيدك ، وجعلتهم - وهم أحرار – عبيد إحسانك .

يحكى أن ملكا من ملوك مرو كان عنده عدد من الكلاب الجوارح في القيد ، وكان يرمي بمن يغضب عليه من رعيته إلى هذه الكلاب السفاكة ، وكان في حاشيته شاب على حظ عظيم من الخلق والعلم ، فخاف أن يتنكر له الملك – على الرغم من صلته به – فيرمي به إلى تلك الكلاب ...فكان يذهب إليها يرمي لها كل يوم ذبيحة ، حتى إرتاضت له ، وذات يوم غضب الملك عليه فأمر به ليكون طعمة لها ، وهمت الكلاب بإعمال مخالبها فيه ، ولكنها عرفت فيه المنعم عليها ، فحركت ذيولها له خضوعا وترحيبا ، وأمسكت دونه بأيديها ، وأقعت بجانبه ، فلما أسفر الصبح ، ندم الملك على فعلته وأمر أن ينظر ما فعلت الكلاب به ، فتعجبوا من حاله ، وظنوه ملكا وليس ببشر [1]واعتذر إليه الملك باكيا ، وسأله عن السبب في نجاته ، فقال : طالما أطعمت بنوالي تلك الكلاب فقدت لي صديقا ، وقد أمضيت عشر سنوات لك غلاما ، فأسلمتني إلى الكلاب لهفوة ظننتها بدرت مني ، فكانت الكلاب رحيمة حيث لم ترحم ، ورعت حق حرمتني حيث لم ترع ، والكلاب تسالم من أجل عظمة ترمى لها ، والحنيس لا يفي ولو فديته بالروح .

فصحا الملك على قوله من غمار غفلته ، وأطلق الكلاب وترك عادته ، فالإحسان حماية الروح ، وقد حصن المجنون نفسه بإطعام الوحوش ، فقامت على حراسته ، وكانت له رفيقا في الحل والترحال .وكان قيس يتأمل في السماء ومابها من كواكب ... ويناجي الزهرة والمشتري ، ثم يناجي الله قائلا : يا من إلى بابك ملجئي ومالي من ملجأ سواك ، ومن الزهرة والمشتري من عبيدك ... ومن علمك فوق الظنون وإحسانك يجاوز ما يعلمون ...يا مالك الوجود وقاضي الحدود ، ومن نحن لك عبيد ولا سيد لامرئ سواك أفض علي من فضل عنايتك حتى يضيء جانب عيشي ، وأصير سعيدا بالوفاء .[2]

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 77- 78
[2] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 77- 78

وبينما يهمس لنفسه بذلك الدعاء أخذه النعاس ، فتراءى له في النوم كأن حظه شجرة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في الأوج ، وقد حلق طائر فوق غصن من غصونها ، فتساقطت من منقاره حبات من الدر استقرت فوق رأس قيس كالتاج ، وأسفر الصبح فأفاق مسرورا ، وكأنما كان ذلك الطائر يرفرف عليه بجناحي السرور ، وفي العشق من لم يظفر بالوصال سر بحلم أو بخيال .

وأتى قيسا رسولا تنسم منه المجنون ريح الأمل ، وقص عليه قائلا : مررت أمس بذلك الموطن ، فرأيت غادة كالقمر ، لها منطق عذب ، حين تتحدث يسكن الماء على صوتها ، كأنه ماء رونقها ، وخصل شعرها كالجيم ، وقدما كالألف ، وفمها كالميم ، وهكذا كان لها من جيم خصلها ومن ألف قدما ، ومن ميم فمها حروف "جام " واستحقت ان تسمى جام العالم ...يبدو عليها وله المحبين ، فأشفقت لها ، وسألتها عن سبب بكائها ، فابتسمت من عذب القول وقالت : أنا ليلى ، ولكني الآن أشد جنونا من ألف مجنون ، بل إني لأسوء منه حالا ، إذ له حرية التنقل ما شاء ، وعلى أن أداري خوف العار ، وأتناول وحدي كأس السم ، وأخفي الوجد فيبين عن نفسه كما تخفي النار في الهشيم ، وقد يهجس خاطري بأن أهرب كالحمامة من غراب الأب وبغاث الزوج [1] ولكن ما يلبث أن يهيب بي الشرف أن أبقى إذ باز العار أشد صولة على الحمامة الهاربة ... وسألتني عنك ، فأفضيت إليها بما أعلم من أخبارك ...وعاهدتني أن أنهي إليك منها رسالة ، وها هي ذي ... ففضى المجنون الرسالة وقرأها ، وهذا مضمونها :

باسم الله ملك الملوك ،العالم بلسان من لا لسان لهم ... هذه الرسالة مني أنا رهينة الدار ، وقعيدة البيت ، إليك يا من حطم القيد ، وصار حرا في السهول والجبال [2] . أنت يا شبيه عين ماء الخضر تألقا [3] ، ولا زلت مثل الفراشة ، تهيم بشمع الوصال ، إني بدونك على الوفاء مقيمة ، وهذا زوجي العقبة الكأداء بيننا لا يجمع رأسي ورأسه فراش ، وإني لجوهرة لم تقربها ماسة ، وكنز مختوم لم يفض، وبرعمة بستان لم تتفتح ... يا من به الدمن خضر ،

---

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 78- 79
[2] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 78- 79
[3] - عين ماء : الحياة التي شرب منها النضر فنلد

ومن أذياله في الطهر شبيهة الخضر ، تعال فاسقني ماء الخلود كالخضر ، وعلى النأى منك لن يبقى طويلا هذا الجسم ، قد لبست ثياب الحداد على أبيك ، وعلمت ما أصاب قلبك بفقده ، ولعمري لا يحدى في هذا الطريق غير الصبر ، والعاقل يتقي ضحك الأعداء من بكائه ، ونحن كالزرع يحصده الزارع ليغرس مكانه آخر [1].

ثم كتب المجنون الرد ، ورمى به إلى الأرض ، فأخذه الرسول وأسرع إلى ليلى ، وهذه فحوى الرسالة :

باسم الله العالم بالسر والجهر ، ملك السماوات والأرضين ، ومنجد المعوزين ، هذه الرسالة مني أنا المضطرب الولهان ، إليك يا من أنت قرار نفسي ، أنت تاج على رأسي سواي ، وكنز في يد الغير ، وأنا تراب في واديك ، فإن سقيتني بماء الوصال أنبت الورد وأطلعت الربيع ، وإن لم ينلني منك غير وقع أقدام الفراق ، لم يثر من أرضي سوى الغبار ، وهأنذا أسير قيدك ، فلا تبيعيني ببخس ، وللعشق دلائل ، فأي دلائل له لديك ؟ وقد تركتني أسير الهموم وظللت في حمى آخر .... وجمال البستان في بلابله ، أما حديقة التين فهي نهب للغربان ... يا من أنت خيري وشري ، ومنك دائي وطبي . أعلم أنك من عفتك في قلعة منيعة المنال ، وأن جوهرتك مستقرة في هدفها ، وأن كنزك محمي بغدائرك المتلوية تلوي الثعابين ، فلا تجرؤ يد أن تمتد إليك ، وعلى الرغم من ذلك ، فإني من فرط حبي لك أظن بك الظنون ، وهذا شأن المحبين ، ويشتد بي الهوس غيرة من ذبابة تقع على خدك ، فأنا من عشقك في تباريح تستعصي على الدواء .[2]

وكان المجنون خال اسمه سليم العامري ،أقبل يوما ليزور المجنون فرآه بين الوحوش أسود حبشيا من لفحات الشمس كأنه خال ، وأراد خاله أن يكسوه من عريه ، فأبى المجنون ، ثم قدم له طعاما من الحلوى والطير المشوي ، فرفض المجنون أن يطعمه ، ورمى به للوحوش ، وأخبر خاله أنه قانع من طعام بما ترعاه الغزلان ، فعلم خاله أن طعامه من العشب ، فامتدح خلفه ، وقال له كم من طائر وقع في الشرك لطعمه في حبوبه ، ومن يقنع مثلك بالأعشاب فهو في هذا العالم سيد ، لا سلطان لأحد عليه ، وقص على قيس حكاية ملك

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 80
[2] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 80

مر بشاب زاهد ، فتعجب من حاله وسأل عنه فقيل له إن زاده العشب المجفف المطحون ، وعرض الملك عليه أن يلتحق بخدمته فأبى مفضلا القناعة بالعشب على التقيد بواجب الخدمة للملوك ، وتلك هي ولاية القناعة ، وهذا هو مقام الزهد ، وطاب خاطر المجنون بتلك القصة وسأل خاله عن حال أمه ، فقادها خاله إليه ، فجزعت لرؤيته على تلك الحال ، ونصحته أن يعود إلى مسكنه كما تعود الوحوش في المساء إلى وكناتها ، والطيور إلى عشاشها ، فاعتذر المجنون بأن ليس من يد في إصلاح حاله ، وأنه رهين العشق ، فإذا عاد إلى المنزل كان رهين محبين ...وودعته أمه باكين وعلم بعد أيام من خاله بموت أمه ، فانتحب وفر فاقد الوعي [1] . ولما أفاق نصحوا له بالرجوع إلى منزله ، فأبى ودعا إلى عيش الزهد ، قائلا : على المرء أن يتحرر من الحاجة حتى لا يصير عبدا للإنسان ، فعش حرا في عالم الزهد يصر سلطان الدهر لك غلاما .

وظلت ليلى قعيدة بيتها ، يقيم زوجها في المنزل رقيبا عليها ، فكأنه في دير الحسناء عابد مترهب ، وذات يوم وجدت نفسها حرة من القيد ، فخرجت تتنسم أخبار الحبيب ، فرأت كهلا فسألته عن ذلك الذي توحش عن الناس وأمس بالوحش ، فأجابها : أيها البدر المسفر ، إن يوسف بدونك رهين البئر ... وقدحال ذلك القمر عن أوج التمام ، يطلق الصوت كالمناد ، ويدور في كل واد ، فناشدت الشيخ أن يأتي بقيس إلى مكان معلوم ، ثم يحضر إليها خفية ليخبرها كي تخف للقائه ، فأسرع الشيخ إلى قطع الفيافي حتى وصل إلى قيس ، وأنبأه أن ليلى تريد أن تراه في مزرعة نخل طيبة الثمار ، تكاد تمس رؤوس نخيلها السماء ، ودونها بساط من سندس العشب ، فتوافقا ، وأقبل المجنون في قطيع من الوحوش كأنه له جيش ، وجلس تحت النخل المعهود ، ودونه على مسافة منه قطعان الحيوان ، وأقبل الشيخ إلى مكان الحسناء فأخبرها فطارت إلى مكان الموعد ، وقال الشيخ لقيس : لن أستطيع أن أتقدم أكثر من هذا [2] وإلا احترق شمع وجودي على رؤية نورها ... وهناك أطلق المجنون صوته منشدا هذه الأبيات :

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 81
[2] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 81-82

نحن في غنى الفقر ما دمت صديقا ، وقد زهدنا في الحرير ، وارتدينا غليظ الثياب ، وقد بعنا الروح إفلاسا لمن يشتري ، وتحررنا من أسر الدهر ، نحن ظامئوا الأكباد ، غرقي السيم ... وهأنذا لا أنفك أدق طبل الرحيل ... لا تودعيني قائلة : طبت مساء فبدونك لا يطيب مساء ، أنت صبح ، ومن يصحب الصبح فعليه أن يكون كالشمس ، يقطع العالم دورانا في سبيل اللقاء ، وأنت الربيع ، والمجنون يبكي في أثرك البكاء السحب على رياض الربيع ، ويهيم البلبل في هوى الورد ، والمجنون يهيم أسى حين ينأى عنك ، وعيني أكثر ثملا من نرجس هذه العيون ، وأتلوى وجدا كذوائب شعرك ، وأقطف تفاح ذقنك ، وآخذ برمان صدرك ، وأجعل وردك بنفسجيا بقبلاتي ...فقرى على صدري لنقرأ معا كتاب الهموم الماضية ... لقد أشرقت من بعيد كالشمس فلا تكون سرابا خداعا ، وإني لمحترق شوقا إلى جمالك ، ولذا فأنا أسود كخالك .[1]

هكذا قال ، وولى الأدبار شطر الصحراء ، وعادت تلك الشبيهة بشجرة السرو من الحديقة إلى خيمتها .

ولما شاعت قصة قيس ، وذاع شعره وتغنى به الناس ، قصده كل ذي هم ، ووصلت قصة عشقه إلى بغداد وتحاكى بها الظرفاء والأصدقاء ، وعلم بها شاب جميل الوجه ،فصيح اللسان ، قد تجرع الحب غصصا ، واسمه سلام فقصد قيسا وصحبه من الوحش ، وقدم إليه ما كان معه من طعام ، فأبى قيس أن يشركه فيه ، وقال أنا في هذا الأمر فرد ، فإن النفس البهيمية التي تتطلب الغذاء لم يبق منها من بقية ، وبذا لا أهلك إذا حرمت الطعام وأدرك سلام وله قيس ، فأخذ يعلله بالأمل ، وأن الفلك لا يدوم على حال ، وبعد البكاء الضحك ، وجذوة العشق تضطرم في قلب الشباب ، ومتى ولى الشباب صارت نارها بردا وسلاما ، ولم يعر المجنون لحديثه أذنا ...وكان مما قاله له : لا تظن أني ثمل ، وأني صريع الهوى ، بل إني سيد مملكة العشق ، تجردت من أسباب المادة وريقة الشهوات ، وتخلصت من أوشاب النفس ، وردت سوق الهوى كاسدة ، فالعشق الطاهر خلاصة الوجود ، والعشق نار أنا لها عود فإذا وجدت الطريق لصحبتي ، فأقصر لسانك عن الطعن في أمري ، ولا يليق أن

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 82

تصوب سهام ملامتك لإنسان على غير علم بالمرمى ، وظلا معا حتى خلا وفاض الشباب من الزاد ، فودعه قافلا إلى بغداد ، بعد أن تزود منه بكثير من القصائد وعاها في ذاكرته .[1]

لا نظن أن المجنون كان من أولئك العشاق الذين نراهم اليوم ، لا يصوم ولا يصلي ، نابذا لقواعد الأدب ، قد عزب عنه العقل ، بل إنه كان عامر القلب بنور الإشراق ، عالما بعلوم أهل الباطن ، قد عرف أسرار الكون ، وتوصل إلى حل رموز السماء ، وكل من عرفه أيقن أنه لم يكن مجنونا ، ولم يكن لمجنون أن يأتي بهذه الدرر من فصيح القول وقد اختار لنفسه حياة وعرة المسلك لأنه كان يطلب منها الخلاص بالموت ، وهو بعزوفه عن الرفقاء قد أضعف قيوده في الحياة ، ليسهل عليه التحرر من تلك القيود ، ولم يحرص على إرضاء رغباته في الدنيا من تلك الحسناء ، ليحظى بحياة العشق الخالد .

وكانت ليلى في بيت زوجها كحبة من الياقوت في جوف صخرة ، وزوجها رقيب عليها يصطلي كل يوم بنار غمه وغيرته ، ولم تطق على طول الكتمان صبرا ، فقد تولهها علانية ، ولم يستطع زوجها المقام على هذه الحال ، فأصيب بحمى شديدة ، أسلم على إثرها روحه ، فانطلقت كالصيد من الشبكة ، تبكي في الظاهر لموت زوجها ، وهي في الواقع تندب حظها من حبيبها ، فكان موت زوجها نعلة لإطلاق زفراتها .

ولما أتمت مراسم الحداد ذهبت إلى بيت أبيها ، وجدت في إرسال الرسل على أثر قيس ، تبلغه خبر وفاة زوجها ، فبكى وضحك طربا لان عقبة أزيحت من الطريق .[2]

ثم خف للقائها في قطيع من الوحوش والتقى قيس بليلى ، وضربت الوحوش دونهما سورا يحميهما من الناس وتعجب لرؤيتهما ، وأكبروا أمر العشق...ثم افترقا .[3]

وفي فصل الخريف حين بكت الغصون بدموع حمر ، وتساقطت الأوراق ذابلة يلعب بها الريح ... ومست يد العواصف البستان بالضرر ، كانت ليلى على سرير المرض ، قد نال الأذى بها ربستانها ، وعصفت الريح بمصباح وجودها وأضحى بدر وجودها هلالا ، وسروة

[1] ـ الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 82-83
[2] ـ الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 83-84
[3] ـ الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 84

قامتها خيالا ... وأخذت بوصيتها إلى أمها ، أن تخلوها عروسا للقاء قيس ، وأن تبلغه أنها قضت نحبها حبا له ووفاء ، وأنها سبقته إلى العالم الآخر لتنتظره ، وهي هناك وعيناها على الطريق إليه .

ولما علم المجنون بوفاة ليلى أخذ يبكي بكاء مرا ، وأقبل صوب روضة قبرها يغلي كما تدوي بالرعود أحشاء السحاب ، ولفرط ما بكى فوق الضريح تفتحت فوقه زهور الشقائق حمرا كدم دموعه ، وأخذ يناجيها قائلا : أيتها الوردة النظرة التي قطفتها يد الخريف فبكرت بالرحيل ، كيف أنت تحت أطباق الثرى ؟ وكيف أنت في ظلمات القبر ؟ إذا غبت عني فشمائلكم ملء روحي ، وإذا نأيت عن بصري ، فأنت أمام عين بصيرتي ، ولئن رحلت فألمك في النفس مقيم .[1]

ثم أخذ طريقة إلى الصحراء في جملة الحيوان الذي يرافقه ، ثم اشتد به الشوق فآب إلى ضريحها وهو أكثر نحيبا ، وأشد نحولا ، ثم رجا الله أن يخلصه من عذابه ، وأن يدينه من حضرة حبه ، واحتضن ثرى القبر فاسلم الروح ، وظلت الوحوش محيطة به ، وصرف منظرها الناس عنه ، حتى أذرت الريح ما بلى من جسده ، ولم يبق منه غير العظم ، ثم مر بالمكان أحد محارمه فتعرف على عظامه ، فجرى نعيه ، فأقبل أقاربه ، وجمع من خيرة الأتقياء فنثروا عليه الدمع ولبسوا الحداد ، وواروه التراب بجانب ليلاه ، وأضحت روضتهما منتجع القصاد ، لا ينصرف منها ذو حاجة إلا وقد أجيب لحاجته .

وكان لقيس صاحب هو ظل له إسمه زياد ، كان قد هام بابنة عم له وشبب بها ، فمنع من زواجها ، وكثيرا ما كان رسولا لليلى إلى قيس ... وكان إخلاصه لقيس مضرب المثل ومثار الإعجاب ، وذات يوم مرت بفكره ذكرى قيس وليلى بعد أن قضيا نحبهما ، وأضاء خاطره بالتفكير في أمرهما : أهما في ظلمات لبنات القبر أم في غرف الجنان المحلاة ؟ ... وعندما مزق الليل جيب مسك ظلماته لينشرها على ثوب النهار ، أراه ملك في نومه روضة مزينة تشرق بها جوانب العالم [2] عرصاتها ذات الأشجار الباسقة طيبة المنظر كقلوب المجدوبين ، وكأن كل زهرة متفتحة في جوانبها حديقة ، وكأن كل ورقة من ورق ورودها

---

[1] ـ الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 84

[2] ـ الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 84-85

مصباح ، مقام في علبيين غني بألوان الزخارف ، كأن في كل نبتة من عشبه عينا ناظرة ، والورود المتفتحة كؤوس على الأكف ، تهيج صداح البلابل السكري ، ليس الزبر جد بأشد منه اخضرارا ، وليس لبهاء رونقه من حد ، وحين تنطلق الألحان به من وقع المضرب على أوتار العود ، يجاوبها الحمام المطوق بسجعاته ، وفي ظل الورد مشرقا كالشمس سرير منصوب على حافة الماء ، مفروش بديباج كديباج الجنة جمالا ، وهناك ملكان مباركا النقيبة سعيدا الجد ، استويا على ذلك السرير في مجلس الطرب ، وقد ارتديا من رأسهما حتى القدم لباسا من نور بديع الزينة كحلل الحور ، على أكفها كؤوس الخمر وأمامهما الربيع ، وكل منهما يقص على الآخر قصته .

فآنا يضعان شفاههما على شفاه الكأس ، وآنا يضمان شفاههما يتبادلان القبلات ، وحينا يتناجيان ، وحينا يستسلمان للنوم كما يشتهيان ، ووقف دونهما كهل يتعهدهما ، قد وضع رأسه على رأس سريرها ، وفي كل لحظة يرفع بيده ، قطعا من الذهب وينثرها على فرقيهما ، فسأل سرا رائي هذا الحلم الشيخ السماوي قائلا : هذان الفاتنان في جمالهما ، اللذان في يدهما الكأس ، أي اسم يحملان في جنة الخلد ؟ قد أخذ مقعدهما في مقام الفردوس [1]

فمن أين لهما تلك المنزلة ؟ فأسرع ذلك الشيخ المحنك في الإجابة بلغته الصامتة : هذان الحبيبان من امتزاجهما فرد واحد ، وسيظلان رفيقين مدى الخلود ، فهو ملك العالم وفاء ، وهي قمر الغيد دلالا ،وليلى هي ذلك القمر ، والمجنون هو لقب ذلك الملك، وقد كانا ياقوتتين لم يمسا في علبة الحب والوفاء ، ولم ينعما براحة في ذاك العالم ، وقد نال هنا قلبهما مراده ، ولن يعانيا هنا من ألم آخر إلا بقاءهما على هذه الحال من الوصال أبد الآباد وهكذا يرفع رأسه في هذا العالم كل من لم يطعم الثمار في ذاك العالم ، وكل من كان في ذاك العالم ينهب الأسى هكذا يطيب له السرور في هذا العالم .

وحين شب نار النهار في حصيد الليل ، وأضاء العالم بمشاعل الصباح ، استيقظ زيد من نومه ، وكشف عن هذا السر جميعه ،حتى لا يركن إلى اللذات في هذا العالم من يرنو إلى

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 85-86

مكانة في العالم الآخر ، فهذا عالم الفناء والهوان ، والعالم الآخر عالم الصفاء والبقاء ، فكن فطنا وحذار ثم حذار ، حتى لا تبيع تلك الوردة بهذا الشوك .

واستخرج جوهر الطلب من معدنه ، حتى تتحرر كل التحرر من ذاتك ، وانطلق في العشق كالسهم ، حتى لا تسقط بعيدا عن الهدف ، والسهم من السديد المرمى جدير بقوس السيد الأجل ، والعشق محرر من ربقة الوجود ، وهو الهوة التي يغوص فيها نبع حب النفس ، فكل شربة غم تتجرعها النفس غصصا من العشق تسمو بالروح .[1]

[1] - الدكتور عبده الراجعي ، المرجع السابق ، ص 86

المبحث الثالث

المبحث الثالث :أوجه المقارنة بين الأدبين العربي والفارسي

هنالك حتما فروقات واضحة بين القصة العربية " مجنون ليلى " والمنظومة الفارسية " ليلى والمجنون " يمكن أن نقسمها إلى قسمين :

1)- الفروقات الشكلية :

تبلغ عدد الأبيات في منظومة النظامي أكثر من أربعة آلاف بيت ، في حين أن جميع الأبيات في ديوان المجنون الذي جمعه أبو بكر الوالبي والذي يكاد يكون في معظمه أشعارا منسوبة إلى المجنون لايزيد عن الألف .

وقد بدأ اقتباس الشعراء الإيرانيين من منظومة النظامي وتقليدهم لها بعد مدة زمنية قصيرة من وفاة النظامي ، وصدرت منظومات باسم " ليلى والمجنون " لعبد الرحمن الجامي و " المجنون وليلى " لأمير خسرو دهلوي ، و" ليلى والمجنون " لعبد الله هاتفي ابن أخت الجامي .

ولكن لم يظهر في اللغة العربية حتى القرن التاسع عشر أي أثر نثري أو شعري مقتبسا من ديوان المجنون أو مقلدا له ، ففي العامين 1885و 1894 عرفت مسرحيتان مقتبستان من قصة " مجنون ليلى " في مدينة الاسكندرية في مصر [1].

وكان أحمد شوقي قد نشر من قبل مسرحية مقتبسة من قصة مجنون ليلى بأسلوب جديد وفني ، مع شخصيات أكثر معاصرة ، ثم أعاد في العام 1932 م نشر المسرحية نفسها بعد تصحيحها وإعادة النظر فيها ، وقد تمكن شوقي أن يعيد الحياة بعمله الفني إلى هذه القصة العربية المنسبة ، لكن قيس في مسرحية شوقي يجمع القيسين معا :

قيس بن ذريح وقيس بن الملوح .

- المناظر والصور والأمكنة في " ليلى والمجنون " للنظامي لا تشبه من قريب أو بعيد ما جاء في قصة المجنون في الأغاني أو في الديوان الذي جمعه الوالبي ، فقد استطاع النظامي

[1]- محمد غنيمي هلال ، الحياة العاطفية بين الصوفية والغدرية ، دار النهضة للطباعة والنشر ن القاهرة 1976 ، ص : 97

بذوقه الفني وقدرته الإبداعية أن يصور الأماكن التي جرت فيها القصة حية ناطقة ، بحيث يشعر القارئ أنه يرافق أبطال القصة في حلهم وترحالهم ،و كنموذج على ذلك ، مساعدة المجنون للظبي ليتحرر من شبكة الصياد ، وردت في القصة العربية في بضعة أبيات :

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني لك اليوم من وحشية لصديق

ويا شبه ليلى لو تلبث ساعة لعل فؤادي من جواه يفيق

تفر وقد أطلقتها وثاقها فأنت لليلى لو علمت طليق [1]

في حين أنها بلغت في منظومة النظامي حوالي مئة بيت ، منها قول النظامي :

- نحو تلك الطريدة تقدم المجنون كوالد ملهوف على فلذة كبده يمرر بحنو كفه على رأسه كما يفعل المحبون ، مضمدا ما يراه من جراحاته نافضا عن جسده التراب من الرأس حتى القدمين والدموع تنهمر من مآقيه يناجيه قائلا : أيها البعيد عن أليفك ، أنت مثلي قد هجرك الحبيب هيا انطلق يا فارس الصحراء ، يا نزيل المراعي والجبال الخضراء

رائحتك تذكرني برائحة حبيبتي وعينيك تشبه عينيها

فلتنزع القيود عن قوائمك،فمكانك في كنف الحبيب

ولنشرح صدرك ،و يشرئب عنقك ، ويبرد صدرك الملتهب .

اعلم انك في هذا الحصن الحصين ، تصلك أخبار القمر سجانك .

إن رعيت في تلك الديار ، أخبره عن أحوال قلبي .

فأنا أسير في يد الأعداء ، وحالتي لا تسر حبيبا

أنت عني بعيد وأنا أيضا بعيد عنك ، أنا أتألم وأنت كذلك

وهو يفك القيود عن قوائم الظبي ، ثم قبله بين عينيه وأطلقه [1]

[1] - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ج2 ، ص : 82

- كما أن النظامي أضاف أمكنة جديدة إلى الأمكنة المذكورة في النصوص العربية ، فقد ورد في منظومة النظامي أن ليلى ذهبت تتنزه في أحد البساتين حيث تعرفت إلى أم المجنون .

2- الفروقات المعنوية :

فضلا عن الفروقات الشكلية التي أشرنا إليها من قبل ، لابد من القول ، إن هنالك فروقات معنوية بين القصة العربية وبين منظومة النظامي الشعرية ، حيث النفس الشاعري الرفيع المستوى ، والترابط بين معاني الأبيات على الرغم من طول القصائد ، والوحدة العضوية بين أجزاء القصة ، في حين أن الديوان المنسوب إلى المجنون فيه الكثير من التشتت وعدم الانسجام المنطقي ، كذلك فإن الأمر الآخر البين هو سيطرة روح الثقافة والأدب الفارسيين وخصوصيات البيئة المتحضرة ، فسلوك أبطال القصة وشخصياتها ، لا يشبه من قريب أو بعيد سلوك الأعراب الذين عاشوا وترعرعوا في البادية ، بعيدا عن التعلم والتربية المدنية ، ونذكر نموذجا الحكم التي أوردها النظامي على لسان والد المجنون حين رأى ابنه في الصحراء في حالة يرثى لها ، فقد سعى الوالد كمعلم عاقل حنون أن يعلم أن ابنه عمر ابن آدم وحياته لحظات سريعة الانقضاء ، فيجب استسهال الصعاب ، واعتبار الحياة غنيمة تستحق أن تعاش ويسعد بها .[2]

في حين أن ما ورد على لسان الأب في الروايات المتعلقة بحياة المجنون أو في الديوان المنسوب إليه لا يعدو الحكم البسيطة التي تعبر عن قيم المجتمع الصحراوي البدوي كقول الأب :

إن سلوك الابن مصدر خجل الأبوين ، وتحقير لشأن القبيلة ، وأحيانا يتألم من أجله ، ويذرف الدموع أسى ، أحيانا يطلب إلى حجاج بيت الله الحرام أن يدعوا له ليعود إليه رشده .[3]

يقول النظامي في هذا السياق :

من كل مثل كان يرويه له ، تنضح حكمة أبوية نصوح

---

[1] - نظامي ، ليلى والمجنون ، استشارات دانش لان موسكو 1965 ، ص : 241 ، 243

[2] - ليلى ومجنون ، م ، س ، ص : 290 ، 296 ، وكرانشكوفسكي ، ص : 231 ، 239

[3] - الوالبي ، ديوان مجنون ليلى ، بومباي 1310 ق هـ ، ص : 8-10

أيا روح أبيك ليس هذا وقت الأحلام ، فالأيام كفرسي رهان يتسابقان من هذا الطريق الحادة أشواكه ، أهرب ، فالمصلحة في الهرب .

فالسهم الذي يطلقه دولاب الزمن لا يرحم ، يريق دمك علانية ...

في أوان الركض اركض ، وصلت إلى مكان معين أم لم تصل ...

ليس من الحكمة أن تتألم ، ما الفائدة من تحمل الآلام ؟ ...

ضجت الأيام من توحشك يوم ، اثنان ، ثلاثة : تعقل ، هيا تعقل ...

اصبر ، واثبت ، وتحمل ، ولا تخدعن نفسك بالأوهام ...

أنت إنسان متدين شريف ، فلماذا تصاحب الوحوش ؟ ...

إن أنت أفلت عنان الزمان الليلة ، لن تجده إن طلبته غدا ...

أنا من أجل سعادتك كتبت هذه الأوراق ، فلتثمل ، لأنني أنا قد انتهيت ولنعش في آمان ، فأنا ماض ، وليصبني الهم وتبقى أنت سعيدا .[1]

- إن أحد أبرز الفوارق بين معاني القصة العربية والمنظومة الفارسية هو مفهوم الحب ومعناه ، فالحب في شعر المجنون هو ذلك الحب العذري ، والعاشق عفيف ، كل ما يملكه من لدن المحبوب ، والسعادة بمثل هذا الحب نوع من العروج الروحي، واللغة التي تعبر عنه راقية مصفاة متحررة من ألفاظ العشق الإباحي وتعابيره ، ومع ذلك لم يصل الحب العذري مطلقا إلى تلك الدرجة من الرفعة والسمو بحيث يمكن أن يتوحد العاشقان –إن بعض الأبيات التي جاءت في المصادر العربية على لسان المجنون من أبدع ما جاء به الشعر العربي في الحب ، لكنها لم تصل إلى مرحلة التوحد بين العاشق والمعشوق كما في منظومة الكنجوي يقول المجنون :

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا .[1]

[1] - ليلى ومجنون ، م ، س ، أبيات مقتطفة من الصفحات 231 ، 239

ويقول :

وإني لمجنون بليلى موكل ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا

إذا ذكرت ليلى بكيت صبابة لتذكارها حتى يبل البكا الخدا [2]

ويقول :

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزتني إليك المضاجع

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليل جامع

لقد ثبتت في القلب منك محبة كما تثبتت في الراحتين الأصابع .[3]

ويقول :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من متى فهيج أحزان الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائرا كان في صدري [4]

لكن العشق في منظومة الكنجوي ، حب من نوع آخر ، إنه حب عرفاني توحد فيه العاشق والمعشوق ، يقول النظامي على لسان المجنون :

وأنا معك ، فارقتني ذاتي ، سأتابع هذا الطريق بلا ذاتي

إن هذا العشق الذي ينور القلب على هذا النحو ، ينور في مذهب العشق الدنيا بما فيها [5]

وبما أن حبك قد تملكني ، لم أعد محتاجا إلى وجهك .[6]

أوجه الاختلاف :

---

[1] - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ج2 ، ص :36-54
[2] - المصدر نفسه ، ص : 37
[3] - المصدر نفسه ، ص : 45
[4] - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ج2 ، ص :55
[5] - نظامي ، ليلى والمجنون ، استشارات دانش لان موسكو 1965 ، ص : 273
[6] - المصدر نفسه ، ص : 274

نجد ان قصة " قيس وليلى " حملت اسم ليلى والمجنون في الأدب الفارسي ، وأن كلمة المجنون عند العرب غيرها في الأدب الفارسي ، فالعرب أطلقوا كلمة على قيس عندما رأوا منه بعض التصرفات التي تخرجه عن دائرة العقلاء ، بينما الفرس قصدوا منها مصطلحا عاليا لدرجة من التصرف ، وهي تعني : الخروج عن سلطان العقل وقواعده والانتقال إلى سلطان القلب .

- الشخصيات :

1- الشخصيات في الرواية العربية :قيس ، ليلى ، والد قيس ، والد ليلى ، السلطان ورد، ورقة بن مساحق ، عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، قيس بن ذريح صديق قيس .

2- الشخصيات في الرواية الفارسية :قيس، ليلى ، والد قيس ، والد ليلى ، سليم العامري خال قيس ، ابن سلام صديق قيس ، والأمير نوفل ، وابن سلام الزوج أحيانا ، ووالدة قيس ، أما عند جامي فيضيف شخصية الخليفة ورسله .

- لهذا نلاحظ اختلاف الشخصيات في بعضها عند الفرس عن العرب ، وطبعا هذا التغيير سيتبعه تغيير في الأحداث والروايات والتصرفات ، وهذه الشخصيات أيضا قد تختلف في أدوارها .

الهدف :

تهدف هذه القصة في مبناها العربي إلى إظهار قيمة الحب في معناه العذري العفيف الطاهر ، وكيف تمكن من قلب هذين العاشقين .

أما في الأدب الفارسي فقد تم تحويل هذا الحب من نظرة حب عفيف إلى حب صوفي، وتم فلسفته وصياغته من وجهة نظر الصوفية .

وقد انفردت قصة المجنون وأخباره بالانتقال إلى الأدب الفارسي دون بقية العذريين ،لأن كبار الشعراء الذين عالجوا تلك القصة في الأدب الفارسي كانوا من الصوفية ، فقد أحب قيس ليلى وشبب بها فحيل بينهما، وظل بقية حياته ينشد وصالها في غير طائل ، فكان ذلك داعيا

إلى أبعد حدود التسامي ، فوجد الصوفية في أشعاره وأخباره من هذه الناحية مجالا خصبا لحياتهم وأفكارهم .[1]

- الأحداث :

أضاف الشاعر " نظامي الكنجوي " أحداثا جديدة لم تكن في الرواية العربية منها : لقد ذكر قيسا على أنه كان ابن ملك عظيم ليس له ولد ، فأخذ يبتهل إلى الله لكي يرزقه وريثا في عرشه ودياره ، إلى أن حقق الله له أمنيته أنعم عليه بقيس .

كذلك جعل الكنجوي منطقة اللقاء بين قيس وليلى هو المكتب للدراسة وطلب العلم ، في حين أنها في الرواية العربية كانت في البادية ومع رعي الإبل ، كما جعل سبب رفض والد ليلى لقيس لأنه مجنون ، أما في النص العربي يرى لأنه شبب بها وفي عادة العرب من يشبب لا يزوج بمن شبب بها .

- كذلك تحدث الكنجوي عن بيئة هذه الرواية أنها تمت في البداية في ظل الحضارة والتمدن والحدائق ، وخاصة عندما كان يصف أماكن اجتماع ليلى بقيس حيث الورود والأزهار والسندس الأخضر ، وكذلك فعل غيره من الشعراء ، وإن كانوا يميلون إلى التحدث عن البيئة العربية .

- أدخل الكنجوي في قصته تشبيهه لقيس وحبه بقصة وامق والعفراء ، التي نظمها الشاعر الفارسي العنصري ، وكذلك حديثه عن ملك مرو وتربيته للكلاب وتدريبها على الفتك بمن يغضب منه ، وهذان الأمران لم يكونا موجودين في الرواية العربية .

- مناجاة قيس للغراب حتى يكون رسوله مع ليلى ، مع العلم أن الغراب عند العرب نذير شؤم وينفر منه العرب ، على غير ذلك عند الفرس .

- الحديث عن الحرب والمعركة التي دارت بين نوفل وأهل ليلى وأسر والدها ، هذا لم يكن له وجود في الرواية العربية.

[1] - محمد غنيمي هلال ، الحياة العاطفية بين الصوفية والغدرية ، ص :247-248

- رفضت ليلى أن تمكن زوجها منها ، ولكن في الأصل العربي ما يفيد أنه تم الزواج العادي ، وهذا ما أكده زوجها لقيس عندما سأله قيس : بربك هل ضممت ليلى ... فقال زوجها : اللهم إذ حلفتني ، فنعم .

- وعند تعلقه بأستار الكعبة قال : " يا رب بعزة ربوبيتك وجلال ألوهيتك اجعلني أبلغ أقصى درجات العشق حتى يبق حبي فنائي ...امنحني النور من عين العشق ، ولا تحرمني منه أبدا ، ومع أنني سكرت من شراب العشق ، فإنني أدعوك أن تجعلني أكثر عشقا مما أنا فيه ما دمت حيا "

وإذا انتقلنا إلى تعبير" الجنون " وكلمة " مجنون " نراها في الأصل العربي تعني الخروج عن المعقول وتشير إلى التصوف الشاذ غير المألوف والخروج على النظام المتعارف عليه ، بينما نراها في الأصل الفارسي قد تحولت إلى معنى آخر ، فأصبحت ترمز لمعنى صوفي روحي مأداه : الخروج من سلطان العقل وقواعده وأصوله إلى سلطان القلب ، حيث يبقى الإنسان متحررا من سلطان العقل وخاضعا لمشيئة القلب وسلطانه . [1]

ومن المعاني الصوفية تجنب أكل اللحم والاعتماد على العشب وهذا الذي ألزم قيس به نفسه ، هو مقام الزاهد .

كذلك من أخلاق الصوفية : عطف المجنون كصوفي على الحيوان ، وما نتج عنه من ألفة ومحبة بين المجنون وبين الحيوانات المفترسة .

ويذكر الدكتور محمد غنيمي هلال صفات أخرى لها دلالات صوفية ككثرة الإغماء التي اتصف بها مجنون ليلى والإغماء عند الصوفية نوع من العبادة ، لأنه ساغراف من الصوفي في شعوره المقدس بعظمة الله ، كذلك ذكروا له رقة منظومته : في باب الخالص ، إذ مهد الطريق لغيره من شعراء فارس ولشعراء من لغات أخرى أن يدخلوا هذه القصة في مجال الأدب .[2]

---

[1] - - الدكتور محمد زكي العشماوي ، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ص ، ب ، 749 ، ص : 260

[2] - بديع محمد جمعة ن دراسات في الدب المقارن ن دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط2 سنة 198 ، ص : 322

- اللغة والأسلوب :

استخدمت الرواية العربية أسلوبا ولغة عادية تتناسب إلى حد بعيد مع ما كان سائدا في عصر حدوث القصة ، حيث المعجم اللغوي سهل وإن كان يميل إلى التعقيد في بعض الألفاظ الشعرية ، الصور كانت صورا غزلية ، وكانت في أغلبها حسية ، وإن مالت في بعض المواقف إلى مشاعر رقيقة مرهفة ، أما في الأدب الفارسي نجد الورود والحدائق والتشبيهات بالسرو والبلابل ، وهو ما لم يكن في الأصل العربي ، لكن هذا المعجم وهذه المعاني وهذا الأسلوب نراه في الأدب الفارسي لهذه القصة يتحول كله إلى الصوفية ، حتى عنوان القصة يأخذ بعدا صوفيا .

- المنحنى الصوفي لقصة ليلى والمجنون في الدب الفارسي :

انتقل الغرض الرئيسي الذي دارت حوله القصة من الحب العذري في الأصل إلى العشق الصوفي في الأدب الفارسي ، فقيس لم يحب ليلى ليتزوجها ، بل كان يحبها للحب نفسه ، ولأنها أهل لكل حب ، فإذا كان قيس قد أحبها لحاجة في نفسه ، فقد أصبح العشق يملك عليه كل وجوده وليس له فيه اختيار ، فقد قال : " ما دام الأمر خاجا عن نطاق اختيارنا ، فإن تحسين الحال أو تغييره ليس من شأننا " ، ثم قال : بل إنني سيد مملكة العشق ... فالعشق الطاهر خلاصة الوجود والعشق نار وأنا له عود ".

- تأثير الأدب العربي في الأدب الفارسي :

إن نشأة الأدب الفارسي الإسلامي كانت في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين ، ولم يكن أمام الأدباء الفرس من مثال يحتذى سوى الأدب العربي في موضوعاته وأساليبه ، ناهيك عما دخل لغة الفرس من ألفاظ عربية تكاد تقترب من 60 % من لغتهم باعتراف بعض العلماء إيران أنفسهم ، وعن أن مصطلحات علوم البلاغة العربية الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) تكاد تكون هي بعينها في بلاغة الفرس ، أما الأوزان والقوافي فقلدوا فيها الأوزان والقوافي العربية واحتفظوا بالمصطلحات نفسها ، وإن جددوا فيها ونوعوا وأضافوا إليها إضافات كثيرة .

إن شعراء الفرس نظموا الشعر في موضوعات الشعر العربي نفسها من مدح وهجاء ووصف وغزل ، ووقف بعضهم على الديار ، بيد أنهم برعوا في موضوعين كبيرين ، أفادوا فيهما من التراث العربي هما :

القصص ، والتصوف .[1]

- من القومية إلى العالمية :

تأثرت آداب شرقية بقصة ليلى والمجنون العربية ، فاستطاعت أن تنطلق من مجالها الضيق إلى الأفق الرحب في آداب الأمم الأخرى ، فعشق فتى ظاهرة اجتماعية معروفة ، ولكن المثالية في هذا الحب ، والصراع الذي عاناه العاشقان ... جعل القصة ذات جاذبية تأخذ بألباب سامعيها عربا وغير عرب ، والفرس قوم يحبون نظم الروايات شعرا ، وألفت عدة روايات شعرية تحت عنوان ليلى والمجنون ولكنهم طوروا في أحداث القصة وطعموها بالروح الصوفية وبعد نظامي جاء سعدي شيرازي ، ثم تبعه جامي وهاتفي ، وغيرهم في نظم هذه القصة بالفارسية ، ثم انتقلت هذه الشهرة إلى الهند فنظمها أمير حسن دهلوي (ت 725 هـ) ، ثم نظمها عشرات من الشعراء الأتراك أشهرهم " شاهدي الأذرنوي " ومحمد سليمان الفضولي (ت 963 هـ) ، وفي العصر الحديث تم نظم مسرحية " قيس وليلى) تأثرا بالمسرح الفرنسي .[2]

- التأثر العكسي وهو ما تأثر به أمير الشعراء " أحمد شوقي " حيث ألف مسرحية مجنون ليلى " متأثرا بالنصوص الفارسية على الأغلب ، إذ أنه وضع أول مسرحية لهذا العنوان بالعربية ، وقد أخذ بعض الأسماء والحوار من الأدبين العربي والفارسي .

إن منطقة التأثر والتأثير واضحة وواسعة في هذه القصة العربية التي نجد لها تأثيرا واسعا في الأدب الفارسي على كافة الأمور والمستويات بدءا بأسماء الشخصيات ، ومرورا بأسماء

---

[1] - يوسف بكار ، خليل الشيخ ، الأدب المقارن ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة ، طبعة 2008/12 ، ص : 113،114

[2] - محمد التونجي ، الأدب المقارن ، دار الجبل ، بيروت " 1" سنة 1995 ، ص : 113،114

الأماكن والأحداث ، وانتهاءا بنهاية القصة ، وإن حدث بعض التغيير في الأسماء وطريقة عرض الأحداث ، وأسلوب السرد يبقى واسعا وأكيدا .

ولقد بقي الطابع العربي لهيكل القصة واضحا في مجرى حوادثها ، وكان شعراء الفرس على اختلافهم يقصون هذه الأخبار على أنها وقائع جرت في البيئة العربية ، وأثرت في أشخاص أبطالها ، وانتهت في تسلسلها إلى خاتمة كانت نتيجة منطقية لما سبقها من أحداث وتبع استعارة الموضوع من الأدب العربي على ذلك النحو أن استعمار شعراء الفرس كثيرا من خواص البيئة العربية وعاداتها ومناظرها ، لكي يضعوا في قابلها تلك الأحداث التي تكون القصة ، ، والشاعر " هاتفي " كان أقل الشعراء الفرس احتفاء بوصف البيئة العربية ، أما " عبد الرحمن الجامي " فكانت قصته أغنى القصص الفارسية في وصف البيئة العربية ، وتسربت من قصة ليلى إلى الأدب الفارسي عادات عربية وصفها شعرائهم كالتشاؤم والتفاؤل ، كما أن طابع الحب العذري وما نتبعه من معان أدبية اقتبسها شعراء الفرس من الأدب العربي بقيت حديثا مستمرا عن الحب العفيف الذي يبعد عن الغايات الحسية .

وهذا ما إشترك فيه الكثير من شعرائهم الذين أوصلوه إلى المثالية في الحب ، كذلك انتقلت من الأدب الفارسي إلى الأدب العربي الخصائص التي تدل على حدة العاطفة ، واحتدامها لدى المحبين العذريين ، كمخاطبة الطير والحيوان والجماد والتعامل مع الظباء ، ومناجاة الرياح كما فعل خسرو الدهلوي .[1]

من هنا نرى مدى تأثر أدباء الفرس الواسع بهذه القصة وكيف استطاعت قصة ليلى والمجنون أن تمد تأثيرها الفارسي من خلال شعراء استطاعوا أن يحولوا هذه الأحداث والأفكار لهذه القصة العربية إلى منظومات شعرية طويلة ومعبرة ، ليرسخوا من خلالها الأفكار والمعاني الصوفية التي يميلون إليها ويعيشونها .

إن التأثر بهذه القصة العربية من قبل أدباء الفرس كان واضحا ومباشرا في الأحداث والشخصيات والمصطلحات وغيرها ... مما جعل هذه القصة تعبيرا صادقا ، ومما زاد التأثر والتبادل اللغوي والثقافي هو تلك الصلات والروابط التاريخية والجغرافية والسياسية والدينية

[1] - محمد غنيمي هلال ، الحياة العاطفية بين الصوفية والغدرية ، دار النهضة للطباعة والنشر ، القاهرة 1976 ، ص :245-265

التـي تـربط بـين الشـعبين العربـي والفارسـي ، ولا أن إطـلاع العـرب علـى حـواجز الشـرق الفارسية والهندية وغيرها ، وقد ساهم مساهمة فعالة في مجال التأثر في الأعمال الأدبية وطرق التفكير ومناهج البحث والدراسة .[1]

[1] - حلمي بدير هلال ، الأدب المقارن ، بحوث ودراسات ، دار الوفاء (د.ط) ، ص : 14

خاتمة :

من خلال هذا البحث استطعنا الوصول إلى مجموعة من النتائج تمثلت في : أن شخصية مجنون ليلى شخصية إسلامية من شخصيات القرن الأول للهجرة و هو شاعر من شعراء البادية ، حيث كان يعيش في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي في إحدى بوادي جزيرة العرب ، حيث كان شعره يعبر عن الحب و قد اختلف المضموم الأولي للقصة في الأدب العربي عن الأدب الفارسي .

ففي الأدب العربي هناك من يقول أن المجنون كان يهوى ليلى بنت المهدي بني عامر ابن صعصع ، و هما صبيان يرعيان مواشي أهلهما أما في الأدب الفارسي فقد نجد نظامي الكنجوي و هو أحد شعراء الأدب الفارسي ، حيث ألف مجموعة من الكتب ، و ذكر أن رجل كان عقيما ليس له ولد ، فطلب الله أن يرزقه ولدا فاستجاب له الله ورزقه ولدا سماه قيسا ، ولما كبر أرسله إلى المكتب لطلب العلم ، و هناك تعرف على مجموعة من الفتيات و من بينهم ليلى فأعجب بها .

كما اختلفت الأراء حول شخصية المجنون و هناك مصادر عديدة لشخصية المجنون من بينها كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، و كتاب الشعر و الشعراء لأبن قتيبة .

و بالضرورة هناك فروقات ما بين الأدب العربي و الأدب الفارسي و هذا من حيث اختلاف الشخصيات و الأحداث والأسلوب ، و هذا ما أدى إلى تأثير الأدب العربي في الأدب الفارسي ، حيث كانت العلاقة بينهما هي علاقة أخذ و عطاء .

و في الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا لإزالة و لو لجزء بسيط من إشكالية هذا البحث و المتمثلة في ما مدى تأثير الأدب العربي في الأدب الفارسي ؟

وشكرا

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو الفرج الأصفهاني الأفغاني ج2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1927 ،
2. الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ، القصة في الأدب الفارسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر .بيروت ، طبعة 1981 ، ص 403
3. الدكتور محمد زكي العشماوي ، المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة مع دراسات تحليلية مقارنة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر
4. أبو الفرج الأصفهاني الأغاني ج2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1927 ،
5. أحمد حسن صبرة ، الغزل البدري في العصر الأموي ، دراسة فنية ، الصديقان للنشر والإعلان 2001 ،
6. الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج2 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1927 ، 1135 ،
7. الدكتور عبده الراجعي ، محاضرات في الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ، سنة 1428 هـ - 27م ،
8. الدكتور محمد زكي العشماوي ، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ص ، ب ، 749 ،
9. الوالبي ، ديوان مجنون ليلى ، بومباي 1310 ق هـ ،
10. الدكتور سراج الدين محمد ، الغزل في الشعر العربي ، دار الراتب الجامعية بيروت لبنان سلاسل سوفنير ص.ب 5229 -19 – بيروت لبنان
11. المسعودي ، مروج الذهب ، ج2 ، الطبعة السابعة ،
12. الدكتور ن كمال خلايلي ، جمهرة روائع الغزل في الشعر العربي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر

13- حلمي بدير هلال ، الأدب المقارن ، بحوث ودراسات ، دار الوفاء (د.ط)

14- محمد غنيمي هلال ، الحياة العاطفية بين الصوفية والغدرية ، دار النهضة للطباعة والنشر ، القاهرة 1976 ،

15- مجنون ليلى ، قيس بن الملوح ، رواية أبي بكر الولي ، دراسة وتعليق يسرى

16- محمد التونجي ، الأدب المقارن ، دار الجبل ، بيروت " 1" سنة 1995 ،

17- قيس بن الملوح ، شرح ديوان مجنون ليلى ، شرح وتحقيق د . رجاء عكاوي
18 - طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ، طبعة 11
19- عبد الغني ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت
20- كراتشوفسكي ، ليلى والمجنون نظامي ، ترجمة الدكتور أحمد كامل نجاد ، طهران ، دار زوار ، ط3 ، 1373 نشر (1994م)
21 -نظامي ، ليلى والمجنون ، استشارات دانش لان موسكو 1965 ،
22 - يوسف بكار ، خليل الشيخ ، الأدب المقارن ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة ، طبعة 2008/12 ،

الفهرس